

أ.د/ خواجة عبد العزيز بن محمد

أستاذ بجامعة غرداية - الجزائر

محاضرات في

الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية

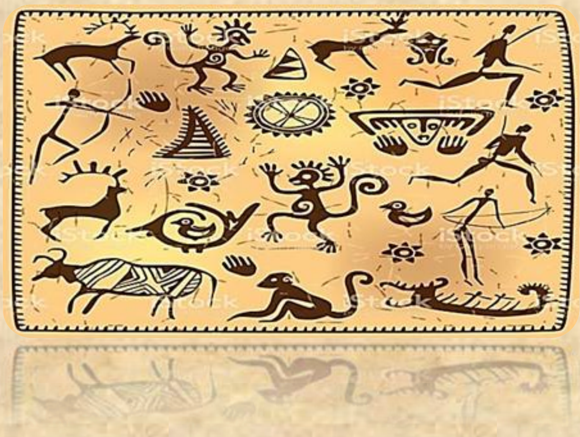
(محاضرات موجّهة لطلبة العلوم الاجتماعية والإنسانية)

السنة الجامعية: 2014 – 2015

ملاحظة: تعتبر هذه الدروس ملخصات توجيهية ولا تُغني عن حضور الحصص والعودة إلى المراجع المعمّقة

- المحتويات -

❋ ❋ ❋



مقدمة

محاولة تفكير الإنسان في نفسه قديم قدم الإنسان ذاته،

إذ حاول هذا الكائن في لحظات عدّة من تواجده البحث عمّا يميّزه عن غيره من المخلوقات المجاورة له. ولعلّ أهمّ ميزة تفطّن لها في هذا الخصوص هي صفة "الاجتماعي (المدني) والثقافي" التي تجعله أعلى وأرقى من غيره، فالإنسان يعيش بثقافة ويتطوّر بها. لكن السؤال المطروح: هل للإنسان ثقافة واحدة أم أنّه يعيش ضمن وبثقافات متعدّدة؟؟ من هنا جاءت التساؤلات والاستفهامات المركزية حول مسألة الثقافة، وما يميّز كلّ مجتمع عن غيره. ومن هذا المنطلق دعا تايلور إلى ضرورة إيجاد "علم" يقوم بمهمّة دراسة ثقافة الإنسان في منظورها العام، إنّما أيضاً ما يخصّ ثقافة كلّ مجتمع على حدى. وإذا علمنا أنّ موضوع "الثقافة" محلّ دراسة من قبل عديد العلوم الاجتماعية والإنسانية، فما الذي سيميّز هذا العلم الجديد عن غيره؟؟؟ تأسست "الأنثروبولوجيا" بفروعها المختلفة استجابة لهذه الرغبة وردًّا على هذا الانشغال، فالأنثروبولوجية علم جديد قديم في الآن ذاته، قديم في موضوعه، وجديد في طرحه ومنهجية بحثه (مناهجه)... فما هو موضوع الانثروبولوجيا؟ وما مناهجها؟ وما اتجاهاتها وإسهاماتها؟؟؟ هذا ما تحاول أن تتناوله المحاضرات التالية. والتي تتضمن ثلاثة محاور أساسية، المحور الأول يخصّ تعريف الأنثروبولوجيا وأبعادها الأساسية خاصة فيما يتعّلق بفروعها، والمحور الثاني يمسّ تاريخ تشكّل الأنثروبولوجيا وتطوّرها عبر العصور، ويعالج المحور الثالث اتجاهاتها الأساسية أو النظريات الكلاسيكية الكبرى القائمة عليها.

المحاضرة الأولى

1. تعريف الأنثروبولوجيا:



لغة:

الأنثريولوجيا **Anthropologie** بالفرنسية و**Anthropology** بالإنجليزية، أصلها يوناني مكونة من شقّين:

- **انتروبوس** Anthroops وتعني الإنسان، - **لوجي** logos وتعني العلم،

وبالتالي هي علم الإنسان أو علم دراسة الإنسان في أبسط تعريف مختزل لها، ترجمت الكلمة بعدة ألفاظ منها: الأنثروبولوجيا (كما هي في اللغات اللاتينية)، علم الإنسان، الأناسة، علم دراسة الإنسان.

وقد تطوّر المصطلح حسب **هيدون** Haddon كما يلي:

1- استعمل أرسطو المصطلح بمعنى "الشخص الذي يتحدّث عن نفسه".

2- استعمله الألماني هونت Hunt عام 1501 عنوانا لكتابة "الأنثروبولوجيا" للدلالة على الخصائص التشريحية لجسم الإنسان.

3- ظهر مرّة أخرى مع كوبيلا Copella عام 1533 في كتابه "L'Anthropologia" (هكذا) بمعنى الصفات الشخصية الفردية.

4- ظهر في اللغة الإنجليزية لأوّل مرّة عام 1655 عنوانا لكتاب " Anthropology Abstracted" لمؤلف مجهول، بمعنى الطبيعة البشرية والتي قسّمها إلى جانبين: علم النفس وعلم التشريح.

5- ثمّ انتشر المصطلح "كالنار في الهشيم" بين المفكّرين والتخصّصات بشكل واسع (عاطف وصفي، د.تا، 9-10).

اصطلاحا: ورد في القواميس الفرنسية أنّها: "شعبة العلوم التي تدرس الكائن الإنساني في كلّ أبعاده مرّة واحدة... الهيكلة والتاريخ الفيزيقي... وعلى المستوى الثقافي (اجتماع، دين، نفس، جغرافيا...) (Wiktionnaire, sous: ccBy-SA 3.0 licence)".

يمكن هنا الإشارة إلى بعض التعاريف: كاعتبار الأنثروبولوجيا "العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة" (عيسى الشمّاس، 2004، 8)، و"علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعيا وحضاريا" (شاكر سليم، 1981، 56)، كما عرّفها إدوار برنت تايلور بأنّها " هي الدراسة البيو ثقافية المقارنة للإنسان" (شاكر سليم، 1981، 56).

فالأنثروبولوجيا بالتالي هي العلم الذي يدرس الإنسان في شموليته من حيث هو إنسان بمختلف جوانبه الطبيعية (الفيزيقية) والاجتماعية والثقافية خارج إطار الزمان والمكان، فهو يدرس تطوّر تركيبة الإنسان، أعراقه، عاداته وتقاليده، نظمه وأشكال تفكيره...

2. إشكلات حول المصطلح:

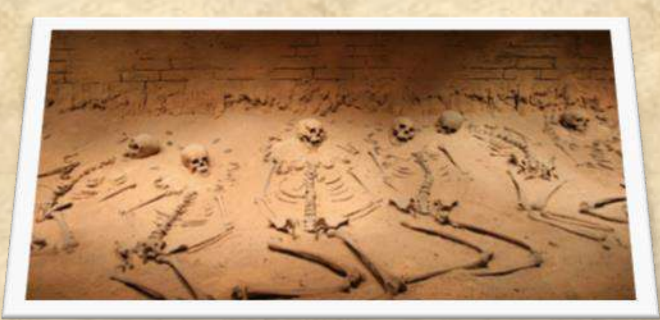


يطرح هذا العلم حوله إشكالات ما تزال مطروحة إلى يومنا، أهمّها:

بين الفيزيقي والثقافي:

إن كانت الأنثروبولوجيا تعني الإنسان في كلّيته فاستعمال المصطلح يختلف من منطقة إلى منطقة أخرى:

1. **الأنجلو- سكسونيون:** فهي تعني عند الناطقين بالإنجليزية (إنجلترا وأمريكا) العناية بالجانب الثقافي والاجتماعي للإنسان، وتشكّل تخصّصات مثل اللغويات وعلم الآثار جزء منها فعلى المختصّ أن يمرّ أوّلاً على الأنثروبولوجيا كي يتخصّص بعد ذلك فيها.
2. **الأوروبيون:** تعني عندهم بخاصة الفرنسيين الجانب الفيزيقي للإنسان فقط دون غيره من الجوانب الأخرى، والفروع الأخرى تخصّصات قائمة بذاتها ومنفصلة بخاصّة علم الآثار واللغويات.



البدائية والمعاصرة:



الدراسات الأولى للأنثروبولوجيا ارتبطت بالمجتمعات البدائية، وبعد "شبه" زوال هذه المجتمعات، انقسم أصحاب التخصّص إلى:

3. **الغلق**: يرى ضرورة غلق هذا التخصّص لزوال موضوعه وانتقال المجتمعات المعنية بالدراسة إلى حالتها الحديثة، والتي تتكفّل بدراستها تخصّصات أخرى على رأسها علم الاجتماع.
4. **التوسيع**: يرى ضرورة توسيع مجال دراستها لكلّ المجتمعات البدائية منها والمعاصرة، فالأصل في هذا التخصّص هو المنهج لا الموضوع، يمثله الاتجاه الأمريكي.
5. **التركيز**: يعتقد بإمكانية توسيع منهج الدراسة للمجتمعات الحديثة مع الإبقاء والتركيز على المجتمعات البدائية، وحتّى في حال دراسة المجتمعات الحديثة لابد من مقارنتها بالمجتمعات البدائية.



الاجتماعي والثقافي:



يُفرّق الكلاسيكيون في الأنثروبولوجيا بين الاجتماعي والثقافي (عاطف وصفي، الأنثروبولوجية الثقافية، 39)، إذ يرون أن الأوّل يؤطّر منتوج الإنسان في حين يشمل الثاني المنتوج ذاته، ما ولّد اختلافا بين الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهنا نجد الاتجاهات التالية:

6. **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**: الأصل الاهتمام بالجانب الاجتماعي، وما الثقافي إلا جزء منه فقط، وهو ما تدافع عنه المدرسة البريطانية.
7. **الأنثروبولوجيا الثقافية**: الثقافة في رأيهم أشمل من غيرها، ولا معنى للاجتماعي دون الثقافة، وإلى ذلك ذهبت المدرسة الأمريكية.
8. **اللافرق**: لا يفرق بين الاجتماعي والثقافي، وإذا تمّ ذلك فلا يكون إلاّ من منطلق التقسيم البيداغوجي فقط، وبالتالي لا يمكن الفصل بين الأنثروبولوجيتين ولا معنى لهذا الفصل، وهو رأي أغلب المعاصرين في هذا التخصّص(عباس أحمد، 1983، 9)، فـ "صول تاكس" Sol Tax الأمريكي يرى أنّ الفرق يكمن في المصطلحات لا في الموضوع، كما يعتقد

كروبر الأمريكي أيضاً أن الفرق بينهما لا يتعدّى الفرق بين الثقافة والمجتمع(عاطف وصفي، الأنثروبولوجية الثقافية، 39).

الطابع الاستعماري:



نظرا لارتباط هذا التخصّص في كثير من مراحله بالاستعمار الأوروبي والأمريكي (جيرار لكلارك، 1990، 55)، انقسمت الأنظمة التربوية في مختلف الدول إلى:

9. **الرفض:** رفض تدريس هذا العلم واعتباره أداة استعمارية والتشكيك حتّى في كونه علماً وفي نوايا أصحابه.
10. **المرحلية**: اعتبر الارتباط مرحلة تاريخية يمكن بل يجب تجاوزها والتركيز على الجانب العلمي لهذا العلم فقط والتغاضي عن أبعاده الإيديولوجية.
11. **التراكمية**: الاعتراف بهذا العلم كلّه، واعتبار مراحله المختلفة تراكما لا يجب إغفاله ومن تمام احترامه المواصلة على نهجه، لهذا ما تزال بعض الدول تستفيد من نتائجه للتحكّم في الشعوب المتخلّفة والضعيفة إلى اليوم.



المحاضرة الثانية

3. أهداف الأنثروبولوجيا:

طبعا لهذا العلم نفس الأهداف العامة للعلوم الأخرى (التفسير، التنبؤ، والتحكّم)، لكن له أيضاً أهداف تخصّه هو الآخر حسب رالف لنتون هي:



ولعلّ اهتمام الأنثروبولوجيا بموضوعاتها التقليدية من وصف الثقافات وأسلوب الحياة واللهجات واللغات والآثار القديمة جعلها تختلف عن العلوم الأخرى في

الأهداف التي تحاول تحقيقها، بخاصة التشابه العضوي لبني البشر وتعددهم في ثقافاتهم وأنماط عيشهم (عيسى الشمّاس، 2004، 10 - 11).

4. فروع الأنثروبولوجيا:

يجب أن نعترف منذ البداية الاختلافات الموجودة بين المختصين في تحديد فروع الأنثروبولوجيا(اسماعيل قباري، 1980، 17 – 23)[1]، حسب انتماءاتهم الجامعية والعلمية، وبعيداً عن هذه التمايزات يمكن تجميع فروع هذا العلم ووضعها في الشكل التالي:



[1] - أنظر مثلا الاختلاف بين تقسيم **رالف بدنجتون** Ralph Piddington، **وفيليكس كيسنبج** Felix keesing، وأنظر تقسيماً آخر في: عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص 18.

الأنثروبولوجيا الطبيعية:



تهتمّ بدراسة الجانب الجسدي للإنسان في تطوّره البيولوجي التاريخي وتطوّر وظائف أعضائه ومقاساته الجسدية في المراحل المختلفة إلى أن وصل إلى حالة "الإنسان العاقل Homo Sapiens"(1) في علاقته بالكائنات الأخرى تشريحيّاً، وأهمّ روادها: تشارلز داروين C.Darwin (1809-1889)، ألفراد والاس A.Wallace (1823-1913)، وهي تستعين بمجموعة من العلوم والتي تعتبر جزءاً منها، بخاصة: علم وظائف الأعضاء، علم مقاسات الجسم، وعلم التشريح وغيرها من العلوم.

الأنثروبولوجيا الثقافية:

تهتمّ بمنتوج الإنسان المادي والفكري ومخلفات ذلك وتطوّه وتصنيفاته، وأهمّ تخصّصاتها:

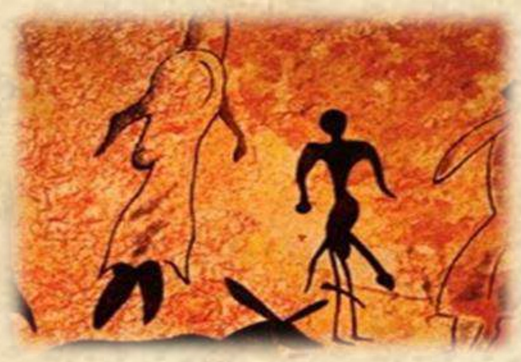
أ- **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**: تختصّ بالجانب الاجتماعي أو البنائي لحياة الإنسان، وهي تنقسم إلى:

1) **المنوغرافيا**: وهي الدراسة الوصفية الخارجية للحياة المادية والاجتماعية لشعب ما.

[1] - عبر مراحل التالية: أسترولوبيتاك "Australopithéque"، أبيليس "Habilis"، أريكتوس "Erectus"، سابيان "Sapiens"، سابيان سابيان "Sapiens Sapiens".

2) **الأثنوجرافيا:** الدراسة الوصفية للعادات والتقاليد الاجتماعية في علاقتها بالانتماءات العرقية.

3) **الإثنولوجيا:** تجميع الدراسات الوصفية المنوغرافية والإثنوجرافية لمختلف الثقافات ومقارنتها زمانياً ومكانياً واستخلاص القوانين التي تحكم الحياة الاجتماعية لهذه الشعوب.



ب- **اللغويات**: تقوم بدراسة اللغات واللهجات ومقارنتها والبحث في تطوّرها وعلاقتها بثقافة ذلك المجتمع والمجتمعات الأخرى، ولها عدّة فروع منها علم أصوات اللغات، علم اللغويات الوصفية، علم أصول اللغات...

ج- **علم الآثار (ما قبل التاريخ):** يهتمّ بدراسة الفترات السابقة لمرحلة الكتابة ومخلفاتها وإعادة بناء صور تلك الحضارات القديمة في جوانبها المختلفة العمرانية والفكرية والاجتماعية وغيرها باستعمال عدّة علوم وطرق علمية، كالكيمياء (C14) والجيولوجيا وعلم المتاحف وغيرها.



المحاضرة الثالثة

5. نشأة الانثروبولوجيا وتطوّرها:

إذا كانت النشأة العلمية للأنثروبولوجيا حديثة فإنّ جذورها قديمة إن لم نقل أنّها وجدت مع بداية وجود الإنسان الذي كان يفكّر في نفسه وفي غيره، أمّا إذا انطلقنا من كون الأنثروبولوجيا هي التعرّف على الشعوب الأخرى والاحتكاك بها والكتابة عن عاداتها وممارساتها، فيمكن تتبّع هذا المعنى منذ القديم عبر المراحل التالية:

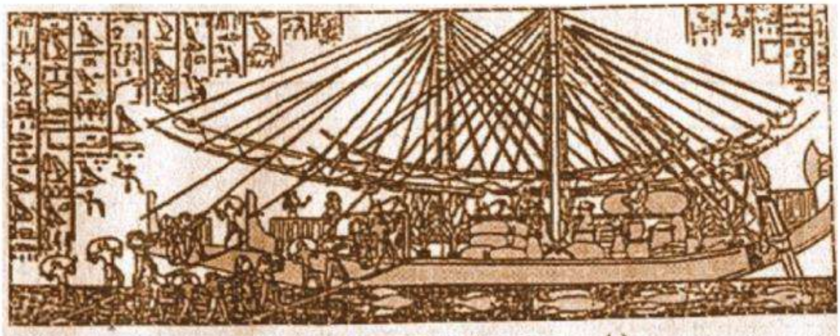
الشعوب البدائية:

أقدم رحلة خاضتها بها الإنسان ودوّنها في المجتمعات "البدائية" هي الرحلة التي قام بها المصريون القدامى في حوالي سنة 1493 ق.م من موطنهم إلى بلاد "بونت" أو الصومال حالياً لأهداف تجارية تتمثّل في مبادلة سلعهم مع الشعوب الأخرى على متن 05 مراكب، في كلّ واحد منها 31



راكباً فحمّلوا معهم أنفس البضائع منها البخور والعطور فاحتكّوا بأقزام إفريقيا وحاولوا تأكيد العلاقة معهم، ودوّنوا كلّ ذلك في نقوش بمعبد "الدير البحري"

(ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، بتاريخ 2015/10/06) بمصر(1)، كما سجّلوا طرق استقبال ملك بلاد "بونت" وملكتها للمبعوث المصري (عيسى الشمّاس، 2004، ص 14).



(إحدى سفن بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت)

العصر الإغريقِي (اليوناني):

أبرز اللحظات المسجّلة في هذا العصر هي كالتالي:

- يمكن الإشارة بداية إلى أبرز عمل قام به المؤرّخ هيرودوتس Herodotus في القرن الخامس قبل الميلاد(05 ق.م)، والذي سجّل فيه عدداً كبيراً من الرحلات والأسفار إلى مناطق غير أوروبا ودوّن عادات شعوبها وتقاليدها وممارساتهم سواء ما قام به هو نفسه أو ما جمعه عن غيره، ووصل عدد هذه الشعوب 50 شعباً، وأكثر من هذا فقد وصف ملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، من ذلك مثلاً وصفه لمصر وأحوال شعوبها وقال مقولته الشهيرة "مصر هيبة النيل" فقد قارن بين الشعوب الأوروبية ومصر مثلاً



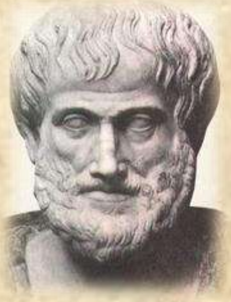
[1] - الدير البحري مجموعة معابد ومقابر فرعونية تقع على الضفة الغربية من النيل، مقابل مدينة الأقصر.

ولاحظ أنّ كهنة المعابد يطلقون شعر رؤوسهم في حين أنّ كهنة المصريين بالعكس يحلقونها، وخلال فترة إصابة أحد الأقارب فأغلب الشعوب تحلق رأسها على عكس المصريين الذين يطلقون في فترة الحداد شعور رؤوسهم ولحاهم.

قارن أيضاً بين عادات الإغريقيين الليبيين (أو البربر القدامى)، خاصة النساء، وبيَّن كيف أنّ أغلب لباس الإغريق نقلوه من الليبيات بخاصة المصنوع من جلد الماعز، وذكر كيف تعرّف الإغريق على طرق صنع العربات ذات الخيول من المحاربين الليبيين أيضاً وغيرها من المقارنات المهمّة في الموضوع.

هذه الإسهامات المبكرة والمنهج المستعمل من قبل هيرودوتش في وصف ثقافات الشعوب وأنظمتهم وتقاليدهم يقترب إلى حدّ بعيد من المنهج "الإثنوجرافي" أو ما يسمّى "بعلم الشعوب" ما جعل البعض يصف هذا المؤرخ بأبي الإثنوجرافيا القديمة.

- يمكن الإشارة أيضاً إلى أعمال أرسطو في وصف تطوّر الكائنات وارتقائها، ووصف أنماط الشعوب وفقاً لأنظمتها السياسية وحكوماتها.



- استفادت الأنثروبولوجيا كثيراً من فكر الفلاسفة وملاحظاتهم خاصة في فترة الهيلنة وتوسّعهم للحضارات الشرقية الأخرى، بالرغم من جانبها الغيبي والأسطوري أحيانا(عيسى الشمّاس، 2004، ص 14).

هيرودوت

«هيرودوت أو هيرودوتس (باليونانية: Ἡρόδοτος ، باللاتينية: Herodotus) كان مؤرخا إغريقيا يونانيا آسيوياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي 484 ق.م - 425 ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها حول العالم المعروف آنذاك ، وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان.

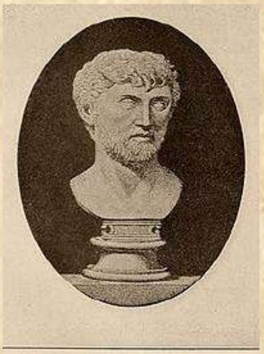
عرف هيرودوتس بفضل كتابه تاريخ هيرودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط. كما زار مختلف أنواع مسارح المعارك كما إن موضوع كتابه الأساسي هو الحروب بين الإغريق والفُرس أو الميديين، ولعله كان حاضراً شخصياً في بعض المعارك مثل ماراثون (معركة) وسالاميس (معركة).

حياته: ولد هيرودت عام 484 ق.م في بلدة هليكرناسوس، حين بلغ العشرين من عمره تم نفيه منها إلى جزيرة ساموس بعد تورطه في انقلاب فاشل ضد السلالة الحاكمة فيها. يبدو أنه لم يعد إلى بلدته منذئذ رغم اعتداده الشديد بانتسابه لها. بعد نفيه بدأ برحلاته التي قام بوصفها في تاريخ هيرودوتس التي شملت ليبيا أوكرانيا، إيطاليا وصقلية. رغم استخدامه لعبارات يستدل منها أنه زار بابل إلا أنه لم يزعم انه كان قد زارها. يصف في كتابه لقاء له مع مخبر في اسبرطة ويبدو أنه قد عاش فترة في أثينا. عام 444 ق.م انتقل من أثينا إلى مستعمرة يونانية في جنوب إيطاليا تدعى توري حيث بدأ بكتابة تاريخ هيرودوتس في تسع مجلدات وهو مؤلفه الوحيد الذي وصلنا كاملا. ومن أشهر مقولاته (من ليبيا يأتي الجديد) يحتوي كتاب هيرودوت علي مناقشات كثيرة حول عادات وتقاليد وأوصاف رائعة وتاريخ الشعوب ، والمدن ، والامبراطوريات الواقعة علي البحر المتوسط وخاصة مصر حيث أعجب بها واطلق عليها هبة النيل، تميز أسلوب هيرودوت في الكتابة بالتشويق والاثارة وأسلوبه المتماسك ، التصويري ، وإبداعه الأدبي والفني فيه ، كما كان يمتلك عقلا فلسفيا في كتاباته ويؤخذ عليه ان كتاباته تفتقر الي الدقة والمصداقية لأنه كان يدون كل ما يسمعه دون تحري الدقة فيه».

الويكيبديا (https://ar.wikipedia.org/wiki/هيرودوت)

العصر الروماني:

بقيت هذه الحضارة ما يزيد عن ست (06) قرون وكانت من أوسع الحضارات إذ سيطرت على شعوب عدّة. فالخبرة الأنثروبولوجية للرومان عملية عسكرية لم يتمّ تسجيلها وتدوينها على شكل كتب وأفكار نظرية. يُستثنى من ذلك أشعار كاروس لُوكْرَتْيُوس التي تضمنت ستّة (06) أبواب رئيسية، خصّصها لحركة الأجرام وتكوين العالم وغيره... لكن ما يهمّنا هنا هو الباب السادس (06) الذي



LUCRETIUS.

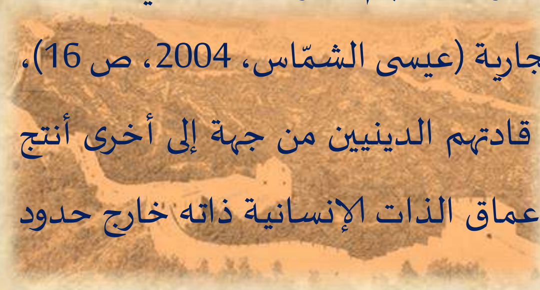
استعرض فيه تطوّر الإنسان وفكرة العقد الاجتماعي ونظام الملكية ونشأة اللغة ومعالجة موضوع العادات والفنون والأزياء.

قارن البعض بين فكر لوكرتيوس في معالجته لمراحل تطوّر البشرية من مرحلة إلى أخرى عن طريق الابتكارات العقلية (حجري، برونزي، حديدي) بفكر لويس مورجان L.Morgan (1818 – 1881) في القرن 19، وفكرة الانتقال عن طريق الطفرات المادية ذات البعد الابتكاري العقلي.

وبالرغم من عدم رقي الفكر الروماني إلى مستوى التأسيس الأنثروبولوجي، فقد تنبّه الرومانيون بقوّة إلى مسألة التقسيم العنصري للشعوب وقنّنوا في ذلك، فإذا رضو عن شعب ما منحوه جنسيتهم الرومانية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 15) وإن رفضوه أطلقوا عليه تسمية "البربر".

الصينيون القدامى:

اعتقادُ الصينيين القدامى بعلويتهم أشعرهم بالهدوء والأمن داخل بلدهم لذا امتنعوا من الاحتكاك بالحضارات الأخرى وأقاموا لأنفسهم "سور الصين" كي لا يدنّس الآخرون ترابَهم واكتفوا ببعض التبادلات التجارية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 16)، لكنّ محاولات فهمهم للجانب الروحي وتنقل قادتهم الدينيين من جهة إلى أخرى أنتج عندهم ثقافة نفسية قادرة على الغوص في أعماق الذات الإنسانية ذاته خارج حدود الجسد وشهواته.



المحاضرة الرابعة

العصور الوسطى:

تقع هذه الفترة بين القرن الرابع (04) والقرن الرابع عشر 14م، وهو تصنيف أوروبي يتموقع بين نهاية فترة انهيار الحضارة الأوروبية والفلسفات الكبرى (الإغريق والرومان) وبداية النهضة الأوروبية (عصر التنوير)، وهذه الفترة تعتبر في تصورهم مرحلة "ظلامية". تراجع فيها الجانب فكري بشكل كبير في أوروبا على كلّ المستويات مع سيطرة الكنيسة والفكر الخرافي، في حين كانت بداية ازدهار الحضارة الإسلامية وتقدّمها وتطوّرها من جهة أخرى.

العصور الوسطى Middle Ages

«هي فترة تاريخية تمتد من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي. بدأت العصور الوسطى في أعقاب سقوط الإمبراطورية الرومانية في عام 476 وامتدت حتى العصر الحديث المبكر. تتراوح العصور الوسطي من نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية حوالي القرن الخامس حتي قيام الدول الملكية وبداية الكشوفات الجغرافية الاوروبية وعودة النزعه الإنسانية وحركة الإصلاح الديني البروتوستانتي بداية من عام 1517. هذة الأحداث هي التي أدت الي دخول أوروبا في مرحلة بداية الحداثة التي تلتها مرحله الثوره الصناعية...

تقسم العصور الوسطى إلى ثلاث مراحل، وتبيان الحدود الفاصلة بينها. تبدأ المرحلة الأولى من أواخر القرن الخامس لتمتد إلى أواسط القرن العاشر، وتتميز بالصراع الحاد والتعارض العميق بين منطلقات الفن الإغريقي الروماني وبين مرتكزات الوندالية (الهمجية) Vandali، ومن ثم الاستقرار على حلول هجينة زاوجت بينهما. أما المرحلة الثانية فشهدت انتشار وثبات أسلوب عام عرف بالرومي (الرومانسكي)، بينما تشمل المرحلة الثالثة القوطية، وتمتد من النصف الثاني من القرن الثاني عشر إلى مطلع القرن الخامس عشر الذي انجلى عن ولادات نوعية جديدة في الثقافة الأوربية الغربية، مما آذن بطي الصفحة الأخيرة في أطوار العصور الوسطى».

https://www.marefa.org/العصور_الوسطى

أ- العصور الوسطى في أوروبا:

- كانت الحياة العامة في أوروبا جدّ متدهورة إذ سيطرت عليها الأفكار الدينية وحوكم كلّ من يخالفها بالنفي أو القتل، بالرغم من ذلك وجدت بعض مراكز المعرفة هنا وهناك والتي كانت بعد ذلك وراء نهضة أوروبا منها بلاط الملوك الذي كان جمع المثقفين ورجال السياسة والإدارة في حوارات مفتوحة، بالإضافة إلى بعض الجامعات كجامعة "بولونيا" المعروفة في القانون وجامعة "باريس" المعروفة في مجالات اللاهوت والفلسفة وغيرهما من مجالات الفكر.

- ظهرت بعض الدراسات أو الكتابات عن بعض الشعوب إلاّ أنّ أغلبها اتّسم بالوصف التخيّلي دون المعايشة المباشرة لها منها:

1- الموسوعة التي كتبها الأسقف إسيدور Isidore (560-636م) في القرن الـ 7م عن المعرفة ووصف فيها تقاليد وعادات عدّة شعوب بطريقة جدّ عفوية وإن كانت متحيزة وسطحية، ليصل إلى نتيجة تتمثّل في أن الانحطاط يقاس بمدى ابتعاد الشعوب عن "المركز" والذي يقع في أوروبا، فكلّما ابتعدت هذه الشعوب عنها كانت أكثر تدهورا وتخلفا، إلى غاية الوصول لتلك الشعوب التي تعيش في المناطق النائية والتي تنتمي في حقيقتها إلى سلالات غريبة الخلق لها وجوه بلا أنوف، بقيت هذه الأفكار سائدة حتّى القرن 13م.



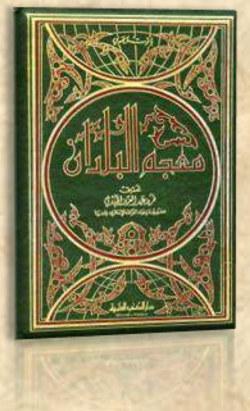
2- ظهرت في القرن 13م موسوعة أعدّها الفرنسي باتولو ماكوس Batholo Macus عرفت انتشاراً شعبياً ورواجاً كبيراً لكنّ محتواها لا يختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على التصوّرات الخيالية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 16-17).

ب- العصور الوسطى عند المسلمين:



تبدأ هذه الفترة من القرن الرابع (04) إلى حدود القرن 14م تقريبا، بداية من ظهور الإسلام إلى ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وتميّزت بخلاف ما كان سائداً في الغرب بالتقدّم في مجالات عدّة، السياسية منها والاجتماعية والعلمية.

توسُّع هذه الحضارة فرض عليها الانفتاح على الشعوب الأخرى وضرورة التعرّف عليها قصد السيطرة على عملية تنظيمها والحكم فيها، هذا الوضع أنتج أعمالاً بارزة أهمّها:



1- المعاجم الجغرافية: وأهمّها كتاب "معجم البلدان" لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (574 - 626 هـ).

2- الموسوعات الضخمة: والتي وصلت ذروتها في حوالي القرن الـ14م (08هـ) منها:



- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ال عمري، شهاب الدين (ت:749هـ)

- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ).

3- **وصف العمران والأقاليم:** وأشهر من كتب فيها أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (362 – 440هـ)



في وصفه للهند ضمن كتابه "تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" والذي صور فيه المجتمع الهندي بكلّ أبعاده بخاصة ما يتعلّق بديانته وعاداته وتقاليده ومختلف الأنماط الثقافية والنظم الاجتماعية السائدة فيه، متوصّلا إلى أنّ الدين أو المعتقدات تشكّل أكبر معيق لتطوّر هذا المجتمع وأكبر موجه لسلوكات الأفراد والجماعات فيه، وهو عمل يعكس حاله من التقدّم في الفهم الأنثروبولوجي وممارسة المنهج الإثنوجرافي إلى درجة بعيدة.

4- **الرحلات:** يعتبر فنّ كتابة الرحلات أقرب الفنون إلى مجال الأنثروبولوجية في صيغتها الحديثة، لأنّه يصف الشعوب عن طريق المعايشة والمشاركة الميدانية وهو يُوفر مادة منوغرافية وإثنوجرافية ثرية. أهمّ هذه الرحلات المكتوبة رحلة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (1304 –

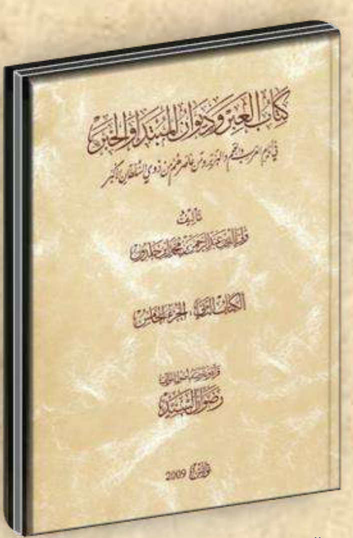
1377م) في كتابه " تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" التي تميّزت بالطابع الأنثروبولوجي واهتمام صاحبها بالشعوب في حياتها اليومية وأنماط الشخصيات السائد فيها وسلوكياتهم وقيمهم وعاداتهم، ففي وصفه لأهل السودان مثلاً ينعتهم بالهدوء والأمن والسكينة، والابتعاد عن السرقة والالتزام بالأمانة العالية ولو كان الشخص أجنبياً مات عندهم...

ابن بطوطة

«ابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، ولد في مدينة طنجة في شهر رجب من عام 703 هجرياً أي في عام 1304 ميلادياً، كان والده من الفقهاء الذين عملوا في القضاء، حيث حرص بشكل كبير على تربية ابنه بشكل صحيح وتعليمه حتى يكون خلفاً له، وبذلك حفظ ابن بطوطة القرآن الكريم كاملاً، كما أنه تعلم كلاً من الشعر والأدب والعلوم الدينية المختلفة، وبذلك اتصف ابن بطوطة بالتقوى والورع، وكان أيضاً يحب ويتقرب من العلماء والأولياء. وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أي في عام 725 هجرياً- 1325 ميلادياً، ذهب لأداء مناسك الحج، والجدير بالذكر أنه خرج مع قافلة لم يعرفها بشكل مطلق، كما أنه لم يستقر بها حيث كان يتنقل من مركب لآخر، والدافع وراء تنقله هذا حبه للتعرف على الناس وعلى أطباعهم المختلفة، بالإضافة إلى رغبته في التعرف على العادات الغريبة التي يقومون بها، وخلال هذه الرحلة لاحظ أن أصحاب الحرف ينزلون ضيوفاً عند زملائهم بالحرف، فمثلاً الفقهاء ينزلون عند الفقهاء، والشعراء عند الشعراء وهكذا، وبهذا كانت رحلة الحج لابن بطوطة نقطة التحول في حياته، حيث لبس ملابس الترحال وعزم على التجول في بلاد المسلمين. رحلات ابن بطوطة: رحلات ابن بطوطة تتجلى في ثلاث رحلات أساسية، هي: حيث بدأها في يوم الإثنين الثاني من شهر رجب لعام 725 هجرياً أي 1325 ميلادياً، وخلال هذه الرحلة زار كلاً من سومطرة والهند وكذلك اليمن وبعض بلاد العجم، ثم العراق ثم الشام، ثم مصر، ووصل إلى مكة في 22 من شهر شعبان لعام 749 هجرياً، ويجلس بها لحين قيام موسم الحج، وبعد انتهاء موسم الحج انتقل إلى المدينة لمنورة ثم اتجه للقدس، وبعدها يتجه لبلاده لمغرب عن طريق مصر، حيث وصل مدينة فاس المغربية عام 750 هجرياً 1349 ميلادياً، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرحلة استغرقت من ابن بطوطة خمسة وعشرين عاماً حج خلالها ما يقارب الست مرات. والرحلة الثانية كانت في مملكة غرناطة المقامة في الأندلس، حيث انطلق ابن بطوطة من مسقط رأسه طنجة ثم مر بكل من سبتة وجبل طارق، وصادف خلال هذه الرحلة كلاً من أبي سعيد بن لب، وأبي القاسم بن عاصم، والقاسم الشريف، وأبي البركات بن الحاج. وفي الأول من شهر محرم لسة 753 هجرياً بدأ رحلته الثالثة بدأ إلى السودان، حيث انطلق من مدينة سجلماسة وبعد مرور أقل من شهر وصل إلى مدينة تغازي الملقبة بقرية الملح، وذلك لأن أبنيتها مبنية من الملح، فأقام بهذه القرية قرابة العشرة أيام، ثم أكمل مسيرته في الصحراء، وكانت هذه الرحلة مليئة بالعديد من المخاطر والمشقات، حتى نزل في مدينة أبو الأتن في السودان، ثم انتقل إلى مالي ثم إلى تمبكتو، ثم إلى تكدا حيث وصل إلى نهر النيجر، وانتهت رحلته هذه في عام 754 هجرياً، أي أنها استغرقت منه قرابة العامين فقط».

http://mawdoo3/مختصرة عن ابن بطوطة نبذة

5- **الدراسات الاجتماعية**: ونقصد من ذلك الأعمال التي تنصب في محاولة فهم المجتمعات وأبرز عمل في الموضوع هو كتاب عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر محمد بن الحسن بن خلدون أبو زيد المسمّى "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وأبرز ما في هذا الكتاب جزؤه الأوّل والمسمّى "المقدّمة" والذي يفكّك فيها بالتحليل الأنثروبولوجي الدقيق واقع مجتمعات شمال إفريقيا ليصل إلى وضع تطوّرات نظرية حولها. وبيّنت بعد ذلك الأعمال المنجزة حوله (أي المقدّمة) قوّة تحليله في موضوعات دقيقة هي اليوم من صلب الأنثروبولوجية كعلاقة البيئة الجغرافية بالظواهر الاجتماعية وأمزجة البشر الجسدية والنفسية وعلاقتها بعاداتهم كما تقاليدهم، وتناول تطوّر الدول وأحوالها بين البداوة والحضارة والتي شبّهها بالكائن الحي وهو ما ساد بعد ذلك زمنا طويلا عند علماء الغرب، وأرسى قواعد دراسة الشعوب والتحقق من الأخبار الواردة إلينا عنها، ويرى بعض علماء الأنثروبولوجية خاصة البريطانيون منهم أنّ في مقدّمة ابن خلدون أساسيات عن كلّ موضوعات الأنثروبولوجيا ومناهجها. فقد





أشار مارفين هاريس إلى ابن خلدون باعتباره أحد مؤسسي "المادية الثقافية" هو وأبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الصقلي المعروف باسم الشريف الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، كما أشار إليه أيضاً جون هونجيمان باعتباره أحد رواد نظرية الحتمية الجغرافية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 18-19).



ساهمت بالتالي الأعمال العربية بشكل كبير في توفير مادة أنثروبولوجية حول الأنماط المعيشية والثقافية لعدد من الشعوب وأرست مناهج مهمّة في طرق مقارنة المجتمعات، لكن الأنثروبولوجيا في طابعها الحديث وإن استفادت منها إلا أنها حاولت وضع قطيعة بينها وبينه، لا فيما يخصّ الدراسات العربية فقط إنّما حتّى اليونانية والرومانية منها.



ابن خلدون

«ابن خلدون هو وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون، ويُكنّى بأبي زيد، ولابن خلدون مكانة علميّة وفكريّة مُميّزة؛ وذلك لدوره في صناعة التاريخ، فلم يعتمد فقط على تدوين الوقائع والأخبار، بل حرص على تحليلها وفهمها، وربَط تحرُكاتها مع منهج مُحدّد؛ وهذا ما جعل بعض المُفكّرين يرَون أنّ ابن خلدون هو من أسّس التاريخ كعلمٍ مستقلّ، وساهم في بناء الأسُس الأولى لعلم الاجتماع.ألّفَ ابن خلدون أثناء حياته العديد من المُؤلفات، منها شرح البردة، وكتب مُلخّصاتٍ حول كُتب ابن رشد، وألّف كتاباً في علم الحساب، وكتاب المُقدّمة المشهور الذي تُرجِم من اللغة العربيّة إلى العديد من اللغات، مثل اللغات الفرنسيّة، والإيطاليّة، والتركيّة، إضافة إلى ما سبق فإنّ ابن خلدون يُصنّف ضمن الشعراء المُجيدين، ولكنّ دراسته للعلوم جعلته قليل الإتقان في نَظم الشّعر. نشأة ابن خلدون: وُلِدَ ابن خلدون في تونس في عام 332م الموافق لعام 732هـ، وهو ينتمي إلى أصول أشبيليّة أندلسيّة، ودرس العديد من العلوم بالاعتماد على علماء الأندلس الذين انتقلوا إلى تونس، وفي مرحلة الشّباب خدم ابن خلدون في مدينة فاس في بلاط بني مرين؛ ممّا عزّز تواصله مع الوزير لسان الدين بن الخطيب عندما نُفِي إلى المغرب، وأثّرت الحياة السياسيّة في ابن خلدون، سواءً تلك السّائدة عند الحفصيّين الذين يعيشون في تونس، أو السّائدة عند المرينيّين الذين يعيشون في مدينة فاس، ولكنّه قرّر لاحقاً اعتزال السياسة بعد وفاة صديقه الوزير ابن الخطيب. غادر ابن خلدون الحياة المدنيّة، واختار الانعزال لمدّة أربعة أعوام في الفترة الزمنيّة المُمتدّة من عام 776هـ-780هـ في ولاية وهران، تحديداً داخل قلعة بني سلامة في الجهة الغربيّة من الجزائر، وأثناء هذه الفترة ألّف كتاب مقدّمة ابن خلدون أشهر كتبه. انتقل ابن خلدون للعيش في مصر والشّام، فعُيّنَ في منصب قاضي قضاة المالكيّة أثناء وجوده في مصر عدّة مرّات، وعندما عاش في مدينة دمشق حاصرها تيمورلنك، فتوجّه ابن خلدون إليه حتّى يُنقذ المدينة، ثمّ سافر لاحقاً إلى مصر وظلّ فيها حتّى توفي بعام 808هـ. دراسات ابن خلدون وآراؤه: اهتمّ ابن خلدون بدراسة العديد من المجالات الفكريّة والاجتماعيّة، وعبّرَ عن دراساته وآرائه في مؤلفاته المتنوّعة، وفيما يأتي معلومات عن أهمّ دراسات ابن خلدون وآرائه : بناء المجتمع والدّولة يعدّ ابن خلدون أنّ بناء الدولة يعتمد على ظهور قيادة جماعيّة، وتكون الدُول في بداياتها بسيطة؛ حيث يحكمها زعماء القبيلة التي تمكّنت من السيطرة على حُكمها، وتصل الدولة إلى الاستقرار وتتطوّر أعمالها، عندما تستطيع إنشاء الأجهزة والوزارات المتنوّعة، ويُقسَم المجتمع البشريّ وفقاً لابن خلدون إلى صنفين يتأثّر فيهما تطوّره، وهما الحضارة والبداوة، ويتميّزان بأنّهما طبيعيّان بالنسبة للمجتمع، مع وجود اختلاف في نوعيّة الأجيال الخاصّة بكلّ منهما، ويرى ابن خلدون أنّ مجتمع الدولة يتطوّر بناءً على ثلاثة أجيال، هي: الجيل الأوّل: هو الجيل الذي ينتمي إلى البداوة المتميّزة بالبسالة والخشونة. الجيل الثّاني: هو الجيل المتحوّل من البداوة إلى الحضارة؛ وذلك بانتشار الرّفاهية والتّرف. الجيل الثّالث: هو الجيل الذي يصل الترف فيه إلى حدّ كبير. المجتمع والاقتصاد: تُؤثّر الدولة في جدوى الاقتصاد وفقاً لآراء ابن خلدون؛ حيث ربط بين المجتمع والاقتصاد عن طريق الدّولة؛ بسبب دورها في توفير فرص العمل للمواطنين؛ ممّا يُساهم في دعم الصناعة والإنتاج، فيظهر ذلك بصورة إيجابيّة على الحياة الاقتصاديّة، وربط، أيضاً، عدد السُكّان مع الاقتصاد؛ من حيث النشاطات الاجتماعيّة والأعمال البشريّة، وأشار إلى أهميّة العمل ودوره الجوهريّ في الاقتصاد؛ لأنّه يرى أنّ الحصول على الرّزق معتمد على عمل الإنسان وسعيه، كما اهتمّ ابن خلدون بالتّجارة وأشار إلى أنّها شراء الأفراد للمنتجات بأسعار قليلة؛ من أجل بيعها بأعلى الأسعار، أمّا الصناعة فيرى أنّها تُوزّع بناءً على أهميّتها، سواءً كانت ضروريّة لاستمرار حياة الإنسان، مثل: البناء، والزراعة، والخياطة، والتّجارة، أو مُؤثّرةً في أحد جوانب حياة الإنسان، مثل: الشعر، والطبّ، والكتابة، كما يُصنّف النقود إلى نوعَين، وهما النقود النظريّة التي تُمثّل المعاملات التجاريّة، والنقود الواقعيّة التي تُمثّل النقود المُتداوَلة فعلياً. البحث الاجتماعيّ والمنهج العلميّ: يُصنّف ابن خلدون كأحد روّاد تطبيق الصورة الاستقرائيّة في مجال المنهج العلميّ، وتحديداً في مجال العلوم الإنسانيّة، كما يُعدّ من الروّاد الأساسيين في علم الاجتماع؛ بسبب اهتمامه بالحياة الاجتماعيّة، ولم يتوقف عند فهم المسائل الاجتماعيّة وإدراكها بل اهتمّ بالبحث الاجتماعيّ، والمنهج العلميّ، وصياغة عدّة قوانين، وساعده ذلك على تعزيز الرّبط بين أصول البحث العلميّ وأسُسه، وعلم الاجتماع، والفلسفة. يتميّز منهج ابن خلدون وأسلوبه في الدراسات الاجتماعيّة بثلاث ميّزات، وهي: الشّموليّة: هي نظرة ابن خلدون الشموليّة إلى الظواهر الاجتماعيّة؛ عن طريق إشارته إلى أهميّة الاجتماع، وتوضيح خصائصه، وشمول جوانبه كافة؛ سواء البيئيّة، أو الجغرافيّة، أو التاريخيّة. الموضوعيّة: تظهر في تعريفات ابن خلدون للأحوال البشريّة والعمران البشريّ، ووضّحها باستخدام عدّة أمثلة من الواقع، كما اعتمد في الواقعيّة على المبادئ النفسيّة، وتكلّم عن الفكر الإنسانيّ، وأنّ الحوادث الواقعيّة تحدث بناءً على الفكر، وأشار أيضاً إلى العقل التجريبيّ، وطريقة حدوثه. النظرة التكامُليّة: هي ربط ابن خلدون بين الواقعة الفرديّة والوقائع الاجتماعيّة، وأشار إلى ذلك في كتاب المُقدّمة، ويُعدّ دليلاً على أنّه نظر إلى المجتمع بصفته مترابطاً بكافة أجزائه، كما أكّد على أهمية الصّيرورة والتأثير المتبادل في المجتمع، وأشار إلى ذلك أثناء تقييمه للمنطق؛ حيث يرى أنّه منهج بحثيّ وعلم من العلوم».

ابن خلدون /http://mawdoo3.com

المحاضرة الخامسة

عصر النهضة الأوروبية:



بدأ هذا العصر من القرن الـ 14، بانتقال العلوم إلى أوروبا وانتقائها سواء الإغريقية أو العربية منها، وظهرت كوكبة من الفلاسفة عملت على تغيير الذهنيات وترقية المجتمع فكرياً وعلمياً وامتدّ هذا العصر إلى حوالي نهايات القرن 19، وما يميّزه النهضة الفكرية القوية لأوروبا على مختلف الأصعدة والانتقال من المنهج الفلسفي في التفكير إلى المنهج العلمي.

محاولة توسع دول هذه الحضارة إلى المناطق الأخرى اقتصادياً وسياسياً جعلها تهتمّ بتاريخ الشعوب الأخرى ومعرفة أنماط ثقافتها وحضارتها، والمقارنة بينها، والبحث في الأساليب الممكنة للتعامل معها، وفهم حركة تطوّرها، ما سيضع الأسس والدعامات الأساسية لنشأة الأنثروبولوجيا في صيغتها الحديثة نهاية القرن التاسع عشر (19م).

ولعلّ أهمّ عامل أيضاً في ظهور الأنثروبولوجيا بروز الفكر العلمي القائم على التجريب مع فرانسيس بيكون F.Becon (1561 – 1626) وروني ديكارت R.Decartes

(1596 – 1650) وإسحاق نيوتن I.Newton (1642 – 1727) وغيرهم، والذي غيّر من نظر المفكرين للإنسان من التصوّرات الدينية إلى اعتباره "ظاهرة طبيعية" قابلة للدراسة والبحث العلمي والخضوع للمنهج التجريبي، وبداية البحث في القوانين التي تحكم تطوّرها، فوفّر ذلك منطلقاً للفكر الاجتماعي والدراسات النظرية الأنثروبولوجية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 19).



أهمّ الأعمال المنجزة خلال هذه الفترة والتي ساهمت في التراكم المعرفي لهذا التخصّص:

1- الرحلة (أو الرحلات) الاستكشافية **لكريستوف كولومبوس** (1451 - 1506م) Christopher Columbus إلى القارة الأمريكية ما بين (1492 – 1502) والتي دوّنها في مذكراته، وسجّل مشاهداته واحتكاكه بشعوب هذه الأرض واصفاً لعاداتهم وتقاليدهم وأساليب عيشهم عن طريق المعايشة المباشرة، فقد وصف



شعب جزر **الكاريبي** Caribbean وكيف أنّهم يعيشون كلّهم عراة عدا بعض النساء اللائي يغطين عورتهن بورق الشجر وبالرغم من ذلك فهم مجتمع جدّ خجول إلى حدّ يثير العجب، وليست لديهم أي أدوات أو أسلحة للدفاع عن

أنفسهم، إذ أنّهم جدّ مسالمين. كما وصف السكّان الأصليين لأمريكا أيضاً بأنّهم حسنو الخَلق والخُلق، وذوو بنية قويّة، يتحرّكون بحرية شديدة ويعطون زائرهم ما يشاء بسخاء كبير وسرور. هذه البيانات وغيرها جعلت أوروبا تتعرّف على شعوب جديدة، وتوفّر لنفسها مادة عنها، ما أثار عندها التساؤل عن طرق تطوّر الإنسان ونشأته مقارنةً بالكائنات الأخرى.

2- دراسات الرحالة الإسباني **جوزيه آكوستا J.Acosta** (1540 - 1600) في القرن 16، فقد حاول في:

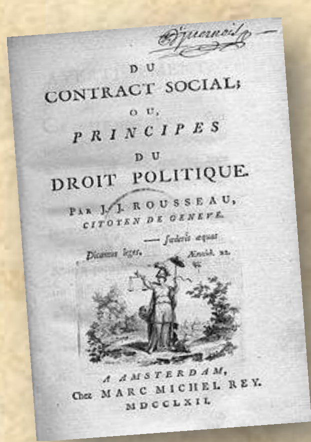
أ- دراسة أولى التعرّف على مجتمعات العالم الجديد ومقارنتها بآسيا وأوروبا، وبعد عدّة احتمالات توصّل إلى أنّهم نزحوا من آسيا وما يدلّ على ذلك الاختلافات الموجودة بينهم وبين الشعوب الأوروبية، بذلك ربط بين الواقع والتنظير.

ب- دراساته في كتابه الشهير "المقالات" عام 1579 حول تصنيف المجتمعات وفق الكتابة، إذ على هذا الأساس تطوّرت الحضارات، فقد وضع في أعلى الترتيب أوروبا نتيجة المستوى المعرفي الذي وصلت إليه ثمّ الصين في المرتبة الثانية والمكسيك في أدنى درجة، أمّا المجتمعات الأخرى فقد جاءت في درجات متباينة فيما بينها، وهو تصنيف اعتمده الكثير من الانثروبولوجيين بعد ذلك، بالمقابل يرى أنّ المجتمعات "الآكلة للحوم البشر" شعوب فطرية رعتها الطبيعة وسيّرتها وفق



قوانينها في مقاله "أكلة لحوم البشر"، ويعتقد أنّ لا حقيقة إلا ما هو موجود في الواقع الذي نعيشه.

3- أعمال **جان جاك روسو** J.J.Rousseau (1712 - 1778) التي تضمّنت مادة



اثنوجرافية ثرية عن المقارنات التي أجريت بين المجتمعات المكتشفة والمجتمعات الأوروبية، ويبدو ذلك واضحاً في نقده لبعض القيم السائدة في المجتمع الفرنسي واستحسانها في المجتمعات الأخرى، ويعتبر كتابه "العقد الاجتماعي" من المؤلفات الأولى في الأنثروبولوجيا لما فيه من مادة ثرية عن المجتمعات خاصة الأولى.

4- أعمال **دي مونتسكيو** (1689 - 1755) في مؤلفه "روح القوانين (الشرائع)" والذي يربط بين القوانين و"العادات والتقاليد" والبئية وظيفياً، فثلاثية القوانين/العادات/ البيئة بقيت فترة طويلة مجال اهتمام الأنثروبولوجيين خلال هذه المرحلة، وقد ربطها أيضاً بطبيعة الأنظمة السياسية.





5- في نفس الآن كان الاتجاه السلالي العنصري يتزايد في ألمانيا ممثّلا في فكر **جورج هيجل** (1770 – 1831) و**جوهان فختة** (1762 – 1814) وغيرهما ممّن يعتقدون في صفاء ونقاء الشعب الألماني على شعوب العالم.

6- من نفس الاتجاه تقريبا ظهر مؤلف آخر هو **جوهان هيردر** (1733 – 1803) والذي أكّد على تمايز السلالات وفقاً لـ:



1- تركيبتها البشرية 2- تأثرها بمظاهر المدينة

3- رؤيتها لمقومات الحضارة.

وقسم السلالات إلى نوعين: نوعية خُلقت للرقي، وأخرى محكوم عليها بالتخلّف والانحطاط.

واجه هذا الاتجاه العنصري انتقادات شديدة بداية من القرن العشرين، حين بدأ فكّ العلاقة بين السلالات واللغة، فهذه الأخيرة لا تدلّ بالضرورة على انتماء عرقي معين، وبالتالي لا يمكن تقسيم السلالات وفقها، وقد أثبتت ذلك عدّة دراسات فيما بعد (عيسى الشمّاس، 2004، ص 20).

والخلاصة أنّ الأنثروبولوجيا في صورتها النهائية الحديثة تغذّت وتتغذّى على فكر الأنوار وقامت عليه متجاوزة له فيما بعد، ولا يمكن فهم الأنثروبولوجيا في شكلها الحالي إلاّ بفهم تلك البذور الأولى المنغرسة في عصر النهضة الأوروبية ومخلفاتها.

كريستوف كولومبوس

«كريستوف كولومبوس أو كرستف كلمب (باللاتينية: Christophorus Columbus) (31 أكتوبر 1451 - 20 مايو 1506) رحالة إيطالي، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية (وربما الفلك أيضا) في جامعة بفيا. عبر المحيط الأطلسي ووصل إلى الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر 1492م لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام 1498 م. بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية والأمريكية حتى قبل اكتشاف كولومبوس لتلك الأرض بوقت طويل. من شخصيته وحي أسم بلد: كولومبيا.تولدت لدى كولومبوس فكرة هذه الرحلة والرغبة في تحقيقها لثلاثة أسبب: تعصبه لكاثوليكيته ولد عنده الرغبة في ايجاد طريق آخر غير الطرق التي تمر ببلاد المحمديين على حد تعبيره. في مدوناته البحرية. بذله جهدا كبيرا في الدراسة البحرية العملية الحديثة في عصره. كما أقر علماء عصره أن العبور إلى شبه القارة الهندية وقارة آسيا لا يقتصر فقط على الرحلات المتجهة شرقا ولكن إمكانية الوصول ممكنة بالإتجاه غربا وذلك لكروية الأرض. وانطلاقا من وجهة النظر هذه قرر المغامرة معتمدا على أحدث خرائط علماء عصره الإيطالي باولو توسكانيلي (1397 -1492) وكذلك الألماني مارتين بيكهام (1459-1505). وكلا العالمين متخصصان بالرياضات والفلك.

رفض عرضه مجلس الشيوخ في جنوة، وكذلك الملك هنري السابع ملك إنجلترا فلجأ إلى إرسال رسالة إلى مستشار الملك البرتغالي خواو الثاني قائلا: أنا أعرف أن وجود مثل هذا الطريق هو برهان حقيقي على كروية الأرض ولسهولة برهان هذه النظرية قررت افتتاح هذا الطريق البحري الجديد وسأرسل إلى جلالتك الخارطة من اكتشافي الخاص.سيكون موجوداً عليها ميناؤكم وجزركم موضحا عليها وجهة الإبحار نحو الغرب والأماكن التي ستكتشفها أثناء الرحلة وأيضا أبعد نقطه يمكن الوصول لها سواء من القطب أو من خط الاستواء والمسافات التي ستعبرونها للوصول إلى البلدان التي قد تحصدون منها الكنوز، لا تتفاجؤا إذا قلت أن بلاد الغرب بلاد الكنوز كما أنهم وكالعاده يسموننا الشرق حيث أن من أبحر باستمرار اتجاه الغرب قد وصل بلاد الشرق عبر المحيط إلى النصف الثاني من الكرة الأرضية. ولكن إذا أرسلتم مكتشفين عبر اليابسه انطلاقا من نصف الكرة الأرضية التي أنتم فيها فإننا نجد أن تلك البلاد التي تم الوصل إليها ما هي إلا الشرق. ولكن نصيبه لم يكن في البرتغال أيضا. في 30 ابريل 1492م وقع الملوك الكاثوليك الإسبان، مع كريستوفر إتفاقية، جاء فيها أن كولومبوس "كمكتشف للجزر والقارات في البحر والمحيط "وانطلاقا مما سبق سيمنح رتبة أمير البحار والمحيطات كقرار ملكي يسري في جميع أنحاء البلاد. و يضاف إلى ذلك أنه سيمنح 10% من الذهب والبضائع التي سيحضرها معه بدون أية ضرائب. في مرفأ بيلوس كانت قد جهزت ثلاث سفن مختلفة الأحجام: السفينة الأولى: سفينة القيادة سانتا ماريا وهي من نوع كارافيل. الجزء الغاطس من السفينة: 2.8 م ، الإزاحه الكلية: 227 طن ، عدد الطاقم: 84 بحار , كانت هذه السفينة بقيادة الأميرال كولومبس. السفينة الثانية: بينتا وهي من نوع كارافيل. الطول- 20.1 م ، العرض: 7.3 م ، الغاطس: 2.0 م ، الإزاحه: 168.4 طن ، الطاقم: 65. القبطان والمالك كان مارتين آلونسو بينسون. السفينة الثالثة: كانت نينيا وهي من نوع كارافيل. هذه التسمية كانت شائعة حول هذه السفينة إلا أن اسمها الحقيقي كان سانتا كلارا الطول: 17.3 م، العرض: 5.6 م، الغاطس: 1.9 م، الإزاحه: 101.2 طن، الطاقم: 40 بحار. القبطان فيسنتي يانيس بينسون ومالك السفينة خوان نينيه.

في 12 أكتوبر اكتشف ما تسمى اليوم جزر الباهاما إلا أنه أطلق عليها اسم سان سيلفادور[9] والتي كانت أولى الخطوات، في 28 أكتوبر وصلوا كوبا. في 16 ديسمبر 1492م عادت السفينتان بينتا ونينا إلى إسبانيا في رحلة عودة استغرقت ما يقارب 3 أشهر حيث وصلتا الميناء الإسباني في 15 مارس 1493. وهي أول الرحلات البحرية التي استغرقت هذه المدة من الإبحار المستمر في ذالك العصر. كان باعتقاد كولومبس أنه وصل إلى ما يسمى بالهند الغربية وقد كانت رحلاته موفقة حيث استطاع إحضار الذهب الكثير، وامتلاك العديد من الجزر التي سميت بالهنديه. ملك وملكة إسبانيا كانا في غاية الفرح لما توصل إليه البحار المكتشف كولومبس. لم يتوقف كولمبوس عند هذا الحد من الاكتشافات فقد كان دوما تواقا لاكتشاف ما هو أبعد، وعاد ليبحر ثانية من موانئ إسبانيا بإسطول مكون من 17 سفينه يرافقه 1500 بحار، وكانت سفنه مجهزة بتموين يكفيهم 6 أشهر. كسابقتها لم تبؤ هذه الرحلة بالفشل، فقد اكتشف جزرا جديدة ومن ضمنها ما يعرف اليوم بجزر الأنتيل ومن بعدها البحر الكاريبي من الجهة الجنوبية لكوبا. كل ذلك في سبيل بحثه عن الهند ... في مايو 1494م وصل جامايكا، والعديد غيرها من الجزر الواقعة شرق القارة الأمريكية. وبذلك قد وصل كولومبوس إلى أهم الاكتشافات وأهم الطرق البحرية الجديدة وتم وضع خرائط ورسومات جديدة كل هذا ولم يخطر على باله يوما أنه لم يصل الهند. وهو في هذه الرحله اكتشف أمريكا الشماليه

يعتقد طائفة من العلماء أن هناك من سبق كولمبوس في اكتشاف العالم الجديد، ويعودون في ذلك إلى مخطوطات كتبها كولمبوس بنفسه يؤكد فيها وجود آثار أفريقية عند وصوله لأمريكا، مما يدعم قولا تاريخيا بأن أبا بكر الثاني الذي حكم إمبراطورية مالي هو الذي اكتشف أمريكا قبل كولمبوس بمئتي عام.

في 20 مايو 1506م في إسبانيا تدهورت صحته وبدأ يصارع الموت بعد أن تعارك طوال حياته مع أمواج البحر والمحيط. وقد تم دفنه دون القيام بمراسم الجنائزية التي عهدها علماء ومكتشفو ذلك الزمان. توفي كريستوفر كولومبس في فايادوليد في 1506 في البيت الذي هو الآن متحف مكرس له. أعلن في 2006 عن نتائج بحث قام به فريق من جامعة غرناطة حول عظام الشخص المدفون في كاتدرائية إشبيلية، أثبت فيه انها تعود إلى كريستوفر كولومبوس (1451 - 1506)[11]. لكن رغم أن كريستوفر كولومبوس هو أول من اكتشف أمريكا العالم الجديد إلا أنها سميت على شخص آخر هو أمريجو فيسبوتشي الذي أكد أن كريستوفر كولومبوس لم يصل إلى الهند لكنه وصل إلى العالم الجديد في عام 1507 قام الجغرافي الألماني مارتن فالدسميلر برسم خريطة العالم الجديد كما رآه ووصفه أمريجو فيسبوتشي واقترح أن يطلق على هذا العالم إسم مكتشفه ووجد هذا الاقتراح قبولا، وسمى هذا العالم الجديد أمريكا نسبة إلى أمريجو فيسبوتشي.»

https://ar.wikipedia.org/wiki/كريستوفر_كولومبوس

المحاضرة السادسة

القرن العشرون:

بالرغم من النهضة الكبيرة التي عرفتها أوروبا في القرن 18 و19 إلاّ أنّ الحرب



العالمية الأولى ونواتجها جعلت المفكّرين ينقسمون إلى شقّين: شقّ متشائم لما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها غامضاً ومخيفاً، وقد تبلور في أعلى ذروته مع "الوجودية" التي انتشرت بفرنسا مع جون بول سارتر (1905 – 1980)،



وشقّ آخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقاً، ناهض التوجّهات الميتافيزيقية، يمثّله الأمريكي جون ديوي (1859 – 1952) الذي يعتقد أنّ للإنسان الكثير من المؤهّلات والقدرات التي تسمح له بالخروج من أزمته. وفي نفس الآن بدأ الفكر الديني يتفتّح على الحوار والنقاش ويتخلّى عن نزعته التسلّطية (عيسى الشمّاس، 2004، ص 35).

وفي ظلّ هذه التحوّلات نشأت الأنثروبولوجيا باعتبارها علماً مستقلاّ بذاته، وقد مرّت بمرحلتين:

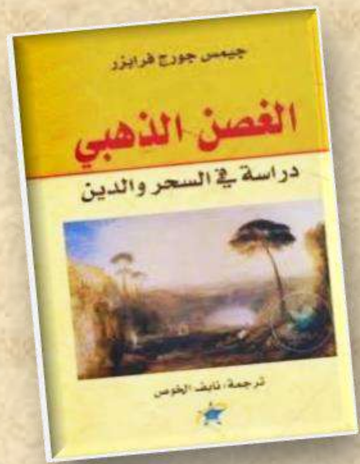
1- مرحلة التأسيس النظري: خلال هذه الفترة ظهرت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الدقيقة والتي أسّست لهذا العلم، لكن أصحابها لم يجروا الأبحاث

الميدانية بأنفسهم إنّما اعتمدوا على الرحّالة و المستكشفين، وإن وُجدت فهي جدّ محدودة كما هو حال تايلور مثلاً. فأعمال هذه المرحلة كانت أكاديمية لكنّها تفتقر إلى الملاحظة بالمشاركة (العمل الميداني من طرف أصحابه)، ويمثّلها كلّ من:

أ- **إدوار برنت تايلو** Edward Burnett Taylor (1832 – 1917)[1] الإنجليزي وهو أوّل من عُيّن أستاذاً للأنثروبولوجيا في العصر الحديث وكان ذلك في جامعة أوكسفورد عام 1884، من أعماله "أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري" (1865)، "الحضارة البدائية" (1871).

ب- **ماكلينان** John Ferguson McLennan (1827 - 1881) الإنجليزي وأعماله عن "الزواج البدائي" عام 1865.

ج- **جيمس فرايزر الأسكتلاندي** James George Frazer (1854 - 1941) وأعماله حول الأساطير في كتابه "الغصن الذهبي" (1890)، والذي عيّن أستاذاً بجامعة لندن عام 1908.



ما ميّز هذه المرحلة أيضاً وجود مدرستين متنافستين على عرش التخصّص إن لم نقل متصارعتين عليه هما: التطوّرية والانتشارية.

---

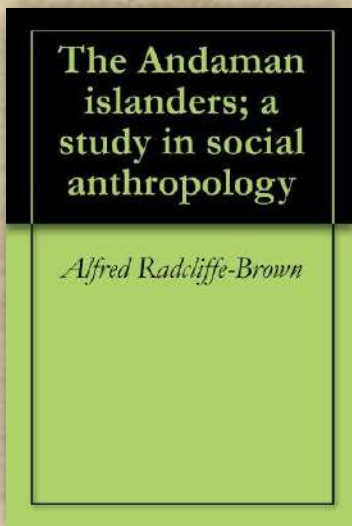
[1] - يجب التفرقة بين التيلورين: 1- تايلور الثقافة وهو **إدوار برنت تايلور** (1832-1917). 2- تايلور علم اجتماع التنظيم وهو **فريديريك وينسلو تايلور** (1856-1915).

2- **مرحلة الأعمال الميدانية**: وفي هذه الفترة أصبح العمل الميداني جزءاً من عمل الباحث الأنثروبولوجي وتزايد بشكل كبير، وأبرز مفكّر ي هذه المرحلة هم من الروّاد الأوائل للتخصّص أهمّهم:



أ- **هادون** Alfred Cort Haddon (1855 - 1940): عيّن أستاذاً بجامعة كمبرج عام 1900، دارت أعماله الميدانية حول منطقة مضايق "توريس Torres Strait" مع إحدى البعثات العلمية.

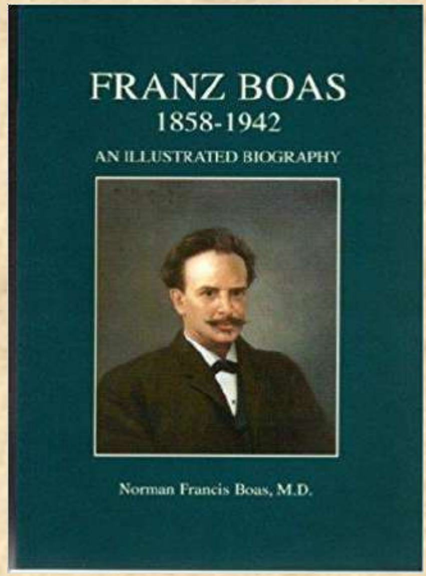
ب- **راد كليف براون البريطاني** Alfred Radcliffe-Brown (1881 – 1955): الأستاذ بجامعة أوكسفورد Oxford، وتمّت أبرز أعماله الميدانية عن السكّان الأصليين لأستراليا (الأبوريجان)، وسكّان خليج البنغال، من مؤلفاته "سكّان جزر الأندمان Andaman Islands" (1922)، "البناء والوظيفة في المجتمع البدائي" (1942)، "المنهج في الأنثروبولوجيا" (1958).



ج- **برانسلاو مالينوفسكي** Bronisław Kasper Malinowski البولوني (1884 – 1942)، أنجز أعماله الميدانية عن سكّان جزر التروبرياند Trobriand Islands (أربع سنوات) بميلانيزيا Melanesia (بجوار أستراليا) وأصبح



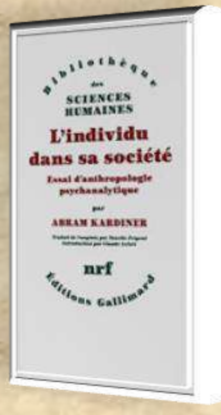
أستاذاً بجامعة لندن، من مؤلفاته "مغامرة المحيط الهادي الغربي" (1922)، "الحياة الجنسية للمجتمعات في شمال غربي ميلانيزيا" (1929)، "الحدائق المرجانية وسحرها" (1935).



د- **فرانز بواز** Franz Boas (1858 – 1942) الألماني الأصل والأمريكي الجنسية، أعماله الميدانية استهدفت مجتمعات الإسكيمو بخاصة جزر البافين الكندية، درّس بجامعة كلارك الأمريكية، من مؤلفاته "عقل الإنسان البدائي" (1911)، "الجنس واللغة والثقافة" (1940).

هـ- وغيرهم من الأعمال والمفكّرين الآخرين كـ: **مارغريت ميد** Margaret Mead (1901 -1971)، **روث بندكت** Benedict Fulton Ruth (1887 – 1948)، **أبراهام كاردينار** Kardiner Abram (1891 – 1981) وغيرهم ممن قدّم أعمالا ميدانية في الموضوع أثرى بها مسار الأنثروبولوجيا في حلّتها الحديثة والعلمية.





وما يميّز هذه المرحلة تعدّد الاتجاهات والنظريات المطروحة في مجال الأنثروبولوجيا، وصدور الكثير من المجلات والجمعيات العلمية في هذا المجال ما زاد في قبول هذا التخصّص أكاديمياً ومجتمعيّاً (حسين فهيم، 1986، 95 - 112)، من ذلك مثلا الاهتمام بمسألة "الفلكلور"[1].

[1] - صاغ البريطاني وليم توماس w.Thomas مصطلح الفلكلور عام 1846 وكان يعني "حكمة الناس".

المحاضرة السابعة

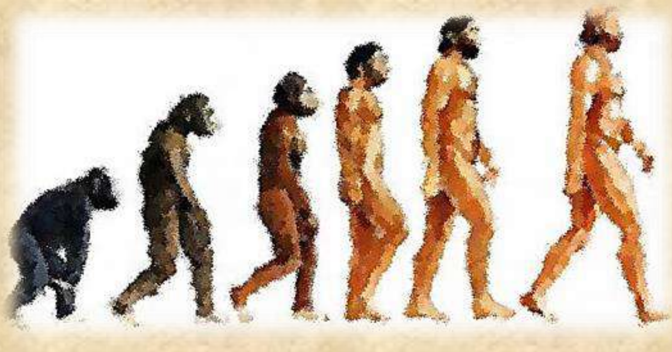
6. الاتجاهات الأساسية في الأنثروبولوجيا:



لم تعرف الأنثروبولوجيا في شكلها الأوّل اتجاهات واضحة، لكنّها بداية من القرن 19 بدأت تتبلور، وكانت التطوّرية البيولوجية أهمّ ملهم للأنثروبولوجيين الأوائل والذين تأثروا بها كثيراً في تفسير الثقافة وتطوّر المجتمع إنّما بقراءات أكثر تحليلاً، ولعلّ أهمّ هذه الاتجاهات أو بالأحرى النظريات ما يلي:

الاتجاه التطوري:

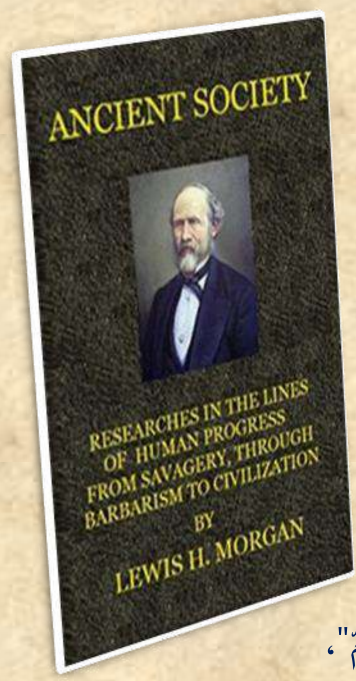
هو أوّل الاتجاهات ظهوراً في الأنثروبولوجيا خلال القرن 19 واحتضاناً لها، فقد



حاولت منذ البداية بطريقة أو بأخرى تطبيقها على تطوّر المجتمع والثقافة، فالمبدأ الأساسي الأوّل لهذه النظرية يرى أنّ البشرية تسيير في تدرّج

تاريخي خطّي واحد يبدأ من الأشكال البسيطة إلى المعقّدة ثمّ إلى الأكثر تعقيداً، وهي سيرورة أحادية ملازمة لكلّ المجتمعات، وكلّها تأخذ نفس الخطّ، فكلّ الثقافات ناتجة في النهاية هي عن وحدة نفسية مشتركة بين كلّ البشر، أبرز ممثلي هذا الاتجاه هم:

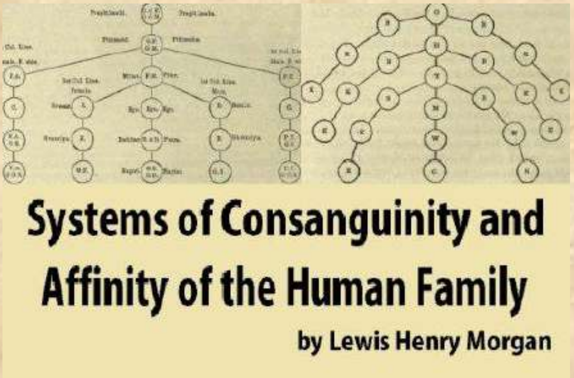
1- لويس هنري مورغان Lewis Henry Morgan (1818 – 1881):



أنثروبولوجي ومحام، بدأت دراسته بمجتمع "أمريند الإيروكيز" (سكّان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليون) ولاحظ انتشار النظام الأمومي القرابي فيها بعد أنّ انتقال لزيارتها عدّة مرّات، فراسل عدداً من المبشّرين في العالم مستفسراً عن أشكال أنظمة القرابة في المجتمعات التي يقومون بالتبشير فيها، فتمكّن من المقارنة بين 250 نظاماً قرابيّاً في العالم. تأثّر من الناحية النظرية بكتابات باخوفن Johann Jakob Bachofen (1815 - 1887) بخاصة كتابه "حقّ الأمّ"، وبأبحاث لافيتو كما تعمّق في دراسة كتاب مين هنري جيمس سمنر (1822-1888) عن "القانون القديم" (1861).

كتب بحثاً عن "عصبة الإيروكيز" عام 1851، ثمّ كتاباً عن "أنظمة القرابة والمصاهرة في العائلة البشرية" عام 1871، ثمّ ضمّها إلى كتابه المشهور في النهاية "المجتمع القديم" (1877). ويمكن تقسيم أهمّ إسهاماته إلى جانبين:

أ- تطوّر نظام القرابة:



بعد الزيارات الميدانية المتكرّرة لاحظ عند الإيروكيز تناقضاً بين العلاقات القرابية وواقعها الفعلي، إذ أنّ أبناء العمّ والعمّة (العلاقة من الأب) في هذا المجتمع يُسمّون أشقاء وشقيقات[1]، أمّا أبناء الخال والخالة (العلاقة من الأمّ) فيُسمّون أبناء العمّ[2]، ما جعله يراجع نظام القرابة ومصطلحاته في 250 مجتمعاً في العالم كما سبق ذكره، بداية من الأسرة الهوايية (جزر هاواي) وصولاً إلى أبسط المجتمعات في الأمازون وغينيا ال جديدة وغيرهما، وتوصّل إلى أنّ أغلب الأنماط القرابية السائدة في المجتمعات الأخرى كانت موجودة ومنتشرة في مرحلة من الوجود الإنساني السابق ثمّ انقرضت، وما بقي منها مجرّد مخلّفات لها، فأعاد على هذا الأساس بناء تطوّر النظام القرابي في العالم، والذي مرّ في رأيه بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: ساد فيها "الاختلاط الجنسي" بين أفراد "القطيع البدائي"، فكلّ الإخوة والأخوات والأبناء والأولاد كانوا أزواجاً وزوجات، ولم يكن هناك نظام للمحارم

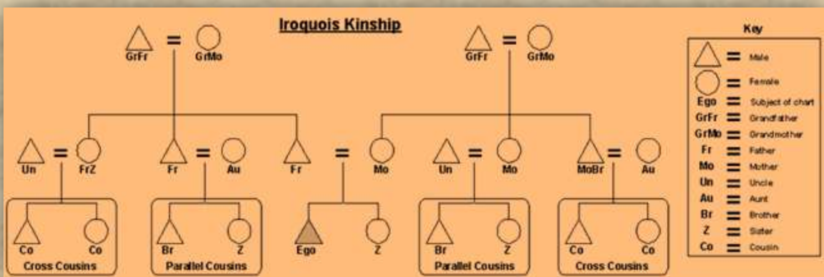
---

[1] - ما يُدعى بأبناء العمّ المتوازين.
[2] - ما يُسمّى اليوم عند الأنثروبولوجيين بأبناء العمّ المتصالبين.

كما هو حالياً. لكنّه لم يجد في المجتمعات الحالية ما يقابله أو بقايا منه إلا إشارات بعيدة فقط.

المرحلة الثانية: وهي بداية تحريم الزواج من الفروع والأصول مع استمراريته بين الإخوة والأخوات ليشكّلوا أزواجاً وزوجات، إذ كانت الأسرة قائمة على مبدأ الحفاظ على العصبية الأسرية، وهو نظام وُجد ولم يبق له وجود عدا بعض عناصره في جزر الهاواي.

المرحلة الثالثة: ثمَّ خلالها منع الزواج بين الإخوة والأخوات من نسل الأمّ فقط ليمتدّ بعد ذلك للإخوة والأخوات من جميع الحواشي، بذلك يصبح الرجال أزواجاً لنساء لسن أخوات، والنساء زوجات لرجال ليسوا إخوة، مع بقاء النسل من جهة الأمّ، وهو النمط المنتشر في مجتمع "الإيروكيز"، وفي الوقت نفسه بدأت تتشكّل ما يُدعى "بالعائلة القرينة" والتي يزيد فيها عدد محرّمات الزواج أكثر، وتبرز بداخلها أهمية الزوجين مع بقاء النسب للأمّ دوماً، ومع توسّع هذا النمط من العائلة "القرينة"، ظهرت "العشيرة" التي تعتبر قاعدة النظام الاجتماعي لأغلبية المجتمعات "البربرية".



المرحلة الرابعة: وفيها تحوّل النسب من الأمّ إلى الأب، وتمّ ذلك نتيجة ظهور نظام تربية المواشي والزراعة وتحوُّل الملكية إلى الرجل، فانتقلت الأسرة الأمومية إلى الأسرة الأبوية، ومع تطوّر هذا النظام أو النمط برزت "الأسرة الزواجية الحديثة". وتطوّر بعد ذلك التنظيم القبلي عن نظام العشائر والذي وصل إليه حسب مورغان الهنود الأمريكيون الأصليون الأكثر تطوّراً ومن بينهم الأيروكيز Les Iroquois والأزتيك Aztec والإنكا Inca.

والقبيلة في تصوّر مورغان تجمّع من العشائر لها أرضها ولهجتها ومنظومتها الدينية تنتخب زعيماً يدير شؤونها ضمن حدود جغرافية معيّنة، وللشعب (الأفراد الآخرون) حقّ المشاركة في مناقشتها. فالقبيلة نظام "ديمقراطي وعسكري" في الآن ذاته لكنّه غير قابل للوصول إلى تشكيل نظام "الدولة"، وما كان يدّعيه المستكشفون الأوائل من وجود إمبراطوريات وإمارات في أمريكا مجرّد خيال لا أساس له.

ب- تطوّر المجتمعات الإنسانية:

وضع مراحل محدّدة لتطوّر الإنسانية، تُمثّل كلّ مرحلة نمطاً ثقافياً محدّداً يُقاس وفق العلاقات السائدة وأشكال النظم القائمة فيه، وكلّ المجتمعات تمرّ بالمسار نفسه وتخضع لهذا القانون فمسار الثقافة أحادي يبدأ بالحالات الدنيا ليرتقي بعد ذلك للحالات العليا، ولكلّ مرحلة مراحلها الفرعية، وتتمثّل هذه المراحل في:

1- **مرحلة التوحّش (الهمجية):** وتنقسم إلى:

أ- مرحلة التوحش الدنيا: تمثّل مرحلة الطفولة البشرية كان الإنسان فيها أقرب للحياة الحيوانية يتغذّى على جذور النباتات وبعض الثمار التي يلتقطها ويجمعها من هنا وهناك، ولم يجد مورغان ما يمثّلها من المجتمعات في الفترة الحالية.

ب- مرحلة التوحّش الوسطى: وهي أكثر تقدّماً من الأولى اكتشف فيها الإنسان النار واستعملها لطهي طعامه وإنارة كهوفه، فتعرّف على أطعمة جديدة منها اللحوم والأسماك، يمثّلها حالياً السكّان الأصليون لأستراليا (الأبوريجان Les Aborigènes).

أ- مرحلة التوحّش العليا: اكتشف فيها الإنسان القوس والسهم، فأصبح يصطاد طعامه بنفسه، فانتقل من جامع للطعام إلى منتج لغذائه وتطوّر بالتوازي مع ذلك شكل خاص من التنظيم الاجتماعي والديني والذي يتكيّف مع واقعه، ويمثّل هذه المرحلة في الفترة الحالية مجتمع "البيلوبونيز Peloponnese".

2- **المرحلة البربرية:** وتنقسم هي الأخرى إلى:

أ- المرحلة البربرية الدنيا: انتقل فيها الإنسان إلى ابداعات جديدة على رأسها صناعة الفخار، وخرج من عزلته واتسع تواجده إلى مناطق عدّة ما ساهم في نشأة الجماعات الاجتماعية.

ب- المرحلة البربرية الوسطى: ارتقى الإنسان إلى صهر المعادن واستخدامها في صناعة الآلات والأدوات المعدنية، وهنا أيضاً بدأت الكتابة "الصورية".

ج- المرحلة البربرية العليا: صهر فيها فلز الحديد، واستخدم الكتابة الحرفية قصد تسجيل الابداع الكلامي، ولم يتم ذلك إلاّ في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، يمثّلها مجتمع الأيروكيز.

3- **المرحلة المدنية:** أبرز ما فيها اختراع الحروف الهجائية والكتابة والفنّ والصناعة، وهي مرحلة ما تزال ممتدّة إلى الوقت الراهن وتمثّلها حالياً أوروبا.

تقوم نظرية مورغان على المبادئ التالية:

المبادئ الأساسية

- العشيرة نظام يميّز كلّ المجتمعات التي تجاوزت مرحلة التوحّش، ولها شكلان النسب للأمّ والنسب للأب، والأولى أسبق تاريخياً ومنطقياً (متبنّياً رأي باخوفن " 1815 –1887" Johann Jakob Bachofen).
- تقوم أنظمة القرابة على تبادل النساء بين الجماعات، ولا تناقض بين الزواج الخارجي (الاغترابي / الإكسوجامي) والداخلي (اللحمي / الأندوجامي) فالزواج الخارجي بين العشائر تكملة للزواج الداخلي بين القبائل.
- تاريخ الإنسان البدائي قائم على "علاقات القرابة" والتي لها منطقها وتاريخها
- المجتمعات تسير في خط أحادي في تاريخها وفق مراحل محدّدة (كما ذكرناها).
- لكلّ مرحلة من تقدّم الثقافة الإنسانية بقايا ما تزال موجودة تثبت تواجدها.
- المجتمعات المدنية تقع في الطرف النقيض للمجتمعات الوحشية والبربرية، فهذه الأخيرة لا طبقية، منظمة وفقاً لعلاقات القرابة، في حين أنّ الثانية طبقية ترتكز على الملكية الخاصة وتبادل الثروات.
- المرحلة المدنية ليست آخر مراحل الإنسان فبحكم قوانين التطوّر لابد من تواجد مراحل أخرى، لعلّ القادمة منها ستقوم على "بعث الحرية والمساواة والإخاء" بما يشبه العشائر القديمة.

LEWIS HENRY MORGAN



«Né en 1818 dans l'État de New-York. Après des études d'avocat, il devient d'abord conseiller juridique d'une compagnie de chemin de fer. L.H. Morgan se reconvertit ensuite à la politique. Membre du Parti républicain, il est élu député puis sénateur. Il s'intéresse à l'anthropologie lorsqu'il rencontre un Indien Senca dans un club littéraire. Adopté par le clan Faucon à l'issue de son enquête sur la « ligue des Iroquois », il publie ensuite un essai sur le Gouvernement constitutionnel de six nations indiennes.
Il étudie ensuite le système de parenté iroquois, à partir de données recueillies chez les Indiens du Kansas, du Nebraska, du Missouri, et de la baie d'Hudson. Puis il tente une étude des systèmes de parenté à l'échelle de la planète, à l'aide d'un questionnaire envoyé dans les différentes ambassades, colonies, et missions évangéliques. Il en publie les résultats dans Systems of Consanguinity and Affinity of the Human Family (1871.)

Pour la première fois, une analyse scientifique de la parenté, une étude d'anthropologie sociale voyait le jour. C'est dans cette œuvre que Morgan entreprit de comparer les institutions sociales de l'antiquité occidentale classique et celles des peuples primitifs contemporains cherchant en celles-ci la clef de l'intelligibilité de celles-là. Dans Ancient society (1877), il développa la théorie évolutionniste dont il fut le plus fervent défenseur, en avançant l'idée que l'évolution de l'humanité suit un schéma unique, caractérisé par trois stades successifs : la sauvagerie, la barbarie et la civilisation.

Ces théories furent reprises par Friedrich Engels, notamment dans son ouvrage L'Origine de la famille, de la propriété privée et de l'État publié en 1884. On peut également relever la note que Engels ajoute dans l'édition anglaise de 1888 du Manifeste du parti communiste, qui limite la portée du principe selon lequel "l'histoire de toute société connue jusqu'ici a été l'histoire d'une lutte de classes": cela n'est vrai, écrit-il, "que de l'histoire écrite". Car "finalement, grâce à la découverte décisive de Morgan, qui a révélé la nature véritable de la gens et sa place dans la peuplade, la structure intérieure de cette société communiste primitive a été mise à nu dans sa forme typique. Avec la dissolution de ces communautés primitives, la société commence à se diviser en classes distinctes, et finalement antagonistes." (Ibid.) Les rapports de production n'acquièrent donc une importance dominante (et finalement écrasante) dans l'infrastructure sociale qu'avec l'entrée dans l'histoire au sens strict, définie comme l'âge de l'écriture. Claude Lévi-Strauss s'appuie sur ces textes contre les marxistes trop orthodoxes qui s'irritent de voir l'ethnologie revaloriser les rapports de parenté contre les rapports de production (Anthropologie structurale, chap. XVI, Paris, Plon, 2e éd. 1974, p. 396). L'œuvre de Morgan a donc joué un rôle majeur dans la théorie du communisme primitif comme première étape de la société humaine, ainsi que dans la transformation et la complexification de la théorie marxienne de l'histoire.

En 1844, Lewis H. Morgan s'établit comme avocat à Rochester, où il mourut le 17 décembre 1881.»

https://fr.wikipedia.org/wiki/Lewis_Henry_Morgan

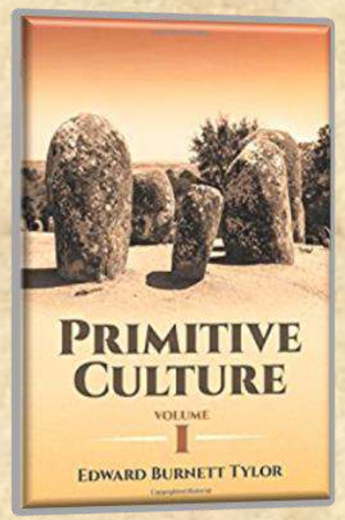
المحاضرة الثامنة

2- إدوار برنت تايلور Edward Burnett Tylor (1832 – 1917):



أستاذ الأنثروبولوجيا منذ 1896 بجامعة أكسفورد حتّى تقاعده عام 1913، ينتمي من حيث التصنيف إلى التطوّرية وإن كانت تطوّريته جدّ معتدلة لذا نجد بين جنبات آرائه أحياناً أفكاراً تميل للانتشارية أكثر ممّا تقترب من التطوّرية، فتطوّريته "مرنه"، أهمّ مؤلفاته "أبحاث في التاريخ المبكّر للبشرية وتطوّر المدنية" عام 1869 والذي أيّد فيه الكثير من آراء مورغان، وكتابه الشهير"المجتمع البدائي" عام 1871، أهمّ إسهاماته:

1- مفهوم الثقافة: وهنا نسجّل ما يلي:



- الثقافة عنصر أساسي في فهم تاريخ الإنسان، فهي ظاهرة تاريخية تميّز الإنسان عن غيره ويتعلّمها من مجتمعه.
- الثقافة حصيلة العمليات العقلية للأفراد، والتي تعتبر انعكاساً لتطوّر الفرد داخل المجتمع ضمن عاداته وتقاليده من حالة اللاتعقيد إلى التعقيد إلى الأكثر تعقيداً، فالثقافة دوماً ثقافة جماعة – مجتمع.

- تأخذ الثقافة في تطوّرها المسار الذي يبدأ من اللامعقّد إلى المعقّد إلى الأكثر تعقيداً ومن اللامعقول إلى المعقول، فهذا المسار حقيقة وضعية دون أن يأخذ المسار الأحادي الذي حدّده مورغان، فتطوّرية مورغان بالنسبة لتايلور غير ملزمة.



- تعني الثقافة لدى تايلور ذلك الكل المتكامل من الفن والأخلاق والتقاليد والعقائد والعلم والأعراف وكلّ القدرات الأخرى التي يكتسبها الفرد باعتباره عضواً داخل المجتمع. بهذا يعدّ أوّل من أدخل مفهوم الثقافة بمعناها الواسع للانثروبولوجيا متجاوزاً المعنى الضيّق، فالثقافة تضمّ كلّ شرائح المجتمع، وكلّ الممارسات داخل المجتمع ولا إقصاء لأيّ كان.

بقي هذا التعريف الأكثر تداولاً وانتشاراً في الأنثروبولوجيا مدّة طويلة لكنّه مع الدراسات الحديثة بدأ يتقلّص ويخضع للمراجعة المستمرّة.

Edward Tylor

«Edward Tylor est né à Camberwell en 1832. Fils de Joseph Tylor et Harriet Skipper, il grandit dans une famille quaker fortunée, propriétaire à Londres d'une usine de laiton. Il se spécialise dans la culture.

Il fait ses études à Grove School House, Tottenham, mais en raison de la mort de ses parents, il n'obtient pas de diplôme universitaire1. Après leur décès, il se prépare à aider à gérer l'entreprise familiale, mais ce projet est suspendu par des symptômes compatibles avec l'apparition de la tuberculose. On lui conseille de gagner des climats plus chauds et Tylor quitte l'Angleterre pour les États-Unis en 1855. Son voyage se poursuit ensuite à Cuba puis au Mexique. L'expérience s'avère décisive dans la trajectoire du jeune homme, éveillant un intérêt qui ne se démentira pas pour l'étude des cultures étrangères.

Au cours d'un trajet en bus dans les rues de La Havane, Tylor rencontre Henry Christy, un archéologue de confession quaker qui le convainc de l'accompagner à Mexico2. Leur voyage commun stimule grandement l'intérêt naissant de Tylor pour l'anthropologie et la préhistoire. Premier titulaire d'une chaire d'anthropologie à l'université d'Oxford en 1895 , il proposa un traitement statistique des données ethnographiques afin de rechercher les corrélations entre les institutions. Souscrivant à la thèse évolutionniste en honneur à l'époque, il y intégra ses analyses de la religion et des mythes, perçus comme des survivances de l'état sauvage. Il est considéré aujourd'hui comme le fondateur de l'anthropologie britannique, il est notamment célèbre pour sa définition ethnologique de la culture».

https://fr.wikipedia.org/wiki/Edward_Tylor

2- الانتشار الثقافي: درس تايلور طرق إشعال النار في المجتمعات القديمة والطهي على الحجارة قبل اكتشاف صناعة الفخار كما اهتمّ أيضاً بدراسة مختلف الأدوات المنتشرة في هذه المجتمعات، ووصل من خلال ذلك إلى أنّ الثقافة تنمو،

وأنّ ما نتعلّمه من جيراننا أكثر ممّا نخترعه بأنفسنا وبأيدينا، فالفخّار مصدره المكسيك لكنّه انتشر في أمريكا، والقوس والسهم والشطرنج مصدرها الهند ثم انتشرت أيضاً في أمريكا والمكسيك أكثر من بلدها الأصلي وهكذا. وهنا يبدو التناقض بين أفكاره وانتمائه النظري، فهو تطوّري النزعة لكن هذا الرأي أقرب إلى المدرسة الانتشارية منها للتطوّرية، مع انطلاقه واعتقاده في وحدة النفس البشرية كغيره من التطوّريين.

3- **نظام القرابة و"الكوفادة":** درس تايلور نظام الزواج الاغترابي المحلي، ونظام الزواج من أنساب الأمّ (ابن الخال والخالة)، وحاول التأريخ لتطوّر النظم الثقافية، فبالرغم من تبنّيه للنزعة التطوّرية التي تعتقد في انتقال المجتمعات من الوضع البسيط إلى المعقّد من الحالة السفلى إلى الحالة العليا ومن اللامعقول إلى المعقول فهو يعترف بوجود حالات ركود وارتدادات نسبية إلى الوراء دون حدوث تغيّرات جذرية، فحتّى وإن كان النظام الأمومي أقدم من الأبوي لكن بينهما نظام وسيط يختلط فيه النظامين تمثلها مرحلة وطقوس "الكوفادة"[1] التي تعكس بقايا النظام القديم في طيّات النظام الجديد السائد. مرّة أخرى يخالف تايلور مبادئ التطوّرية فرغم أنّه يرى أنّ الأصل عند البشر واحد أي كلّهم ينتمون إلى وحدة النفس البشرية لكنّ هذه النفس تأخذ انعكاسات متباينة وفقاً ظروفها.

1 - **الكوفادة:** مرحلة وسطية بين النظام الأمومي والنظام الأبوي تختلط فيه عناصر النظامين، وتعكس استمرارية بقاء القديم في أحضان أو رحم النظام الجديد.

4- تطوّر الديانة ومفهوم الأَنِيمِنيَة:[1] (الأروحية أي الأرواح): بعد دراسته لشعب البويبلو (قبائل الهنود الأمريكيون جنوب غربي الولايات المتّحدة) توصل إلى أنّ أصل جميع المعتقدات الدينية ناتج عن التفسير الخاطئ للأحلام والموت، فقد اعتقد البدائي أنّه خلال الحلم يستطيع التنقّل إلى أيّ مكان والقيام بما لا يقدر عليه في حال اليقظة وهذا التنقّل فعليّ، ثمّ توصّل إلى أنّ الروح هي التي تغادر الجسد إلى عوالم أخرى ثم تعود إليه في اليقظة، وفي حال الموت لا تعود، وارتبط هذا الاعتقاد بالطقوس من جهة وبتقديم القرابين لأرواح الأجداد من جهة أخرى، ومن هنا انطلقت كلّ الديانات، فالديانات أصلها هو الاعتقاد في وجو د الأرواح (الأروحية أو الأنمينية) أو الصور اللامنظورة، وقد تطوّرت عبر مراحل هي:





- محاولة تفكّر الإنسان في القرين الملازم له (الروح).
- وجود أرواح تسكن الطبيعة كالتي توجد في جسم الإنسان.
- تأليه الأرواح.
- الاعتقاد في فكرة الإله الواحد وهي أرقى المراحل.

فهو يرى إلى الدين في المجتمع الحديث ضمن الإطار التالي:

---

1 - **الأنيمنية** Animine: نظرية لتفسير نشأة الديانات القديمة وتطوّر الدين عالمياً.

أ- كل الطقوس المرتبطة بالمعتقدات ليست غيبيات إنّما بقايا لمراحل سالفة فهي شعائر ثقافية غابرة بقيت إلى اليوم.

ب- هذه البقايا السالفة لها سبب عملي وتفسير علمي، فقد كانت في لحظة نشأتها استجابة لحاجة لها صلة بالمكان أو الزمان الذي توجد فيه، فإذا أصبحت عند الكثيرين اليوم مجرد "عبث" فلإنّها توجد في ظروف مجتمعية غير التي نشأت فيها، ما أفقدها معناها.

ت- لهذه الطقوس الباقية منطقها والذي لا يمكن فهمه إلاّ بالعودة إلى "دلالاتها المنسية" بما في ذلك السحر والخرافة، ففهم هذه الأشكال لا يتمّ على مستوى اللغة فقط كما يفعل المحدثون إنّما على مستوى تطوّر البنية الذهنية لإنسان المرحلة التي نشأ فيها خارج الثقافة الغربية، فالثقافات البدائية بقايا لـ "عقلنة ميّتة"، ورغم أنّه يرى ضرورة زوالها لانتمائها إلى مستوى متدنّي من التاريخ العقلي للإنسان، والذي انتقل من السحر (الخرافة) إلى الدين ثمّ إلى العلم حسب جيمس فرايزر (1854 – 1941). والثقافات كلّها متشابهة، إنّما الاختلاف بينهما يكون وفق درجة تطوّر تلك الثقافة في الخطّ الأحادي للتطوّر العام من اللامعقّد إلى المعقّد.



المحاضرة التاسعة

الاتجاه الانتشاري:



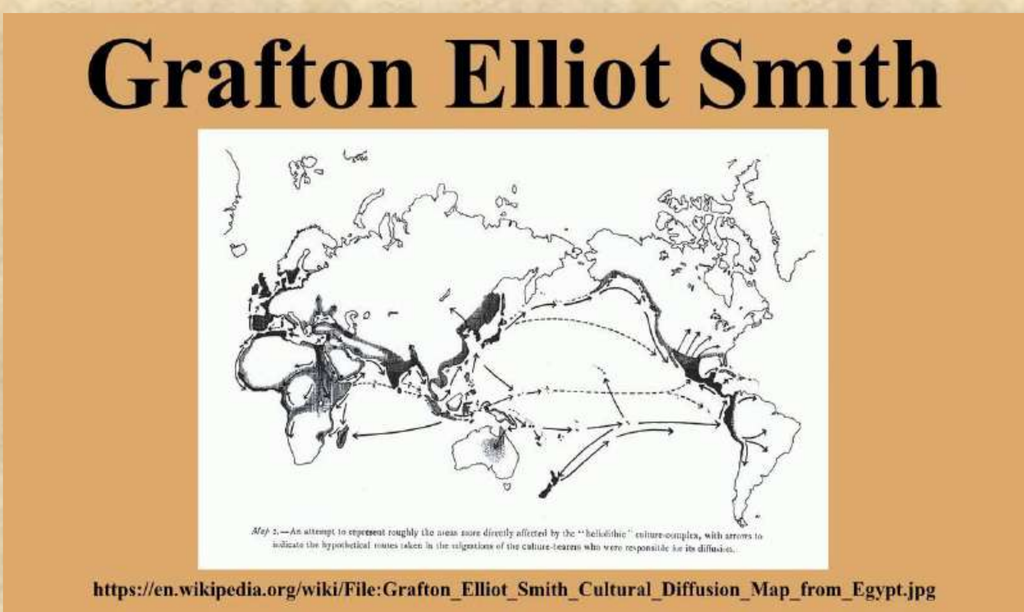
هو الاتجاه الثاني في الأنثروبولوجيا من حيث الأهميّة، ويرى البعض أنّ ظهوره كان كردّ فعل للمدرسة التطوّرية بعد غلوّها وتطرّفها في تفسير الثقافة، في حين يرى آخرون أنّها نشأت نتيجة تراكم الكمّ المعرفي في الحقل الأنثروبولوجي الناتج عن تزايد الدراسات الميدانية لمختلف المجتمعات غير الغربية.

تقوم الفكرة الأساسية لهذا الاتجاه على أنّ الاتصال بين الشعوب أحدث احتكاكاً ثقافياً وعملية لانتشار السمات الثقافية كلّها أو جزء منها لمختلف أنحاء المعمورة، وهو ما يفسّر اختلاف المجتمعات من ناحية واشتراكها في عناصر من ناحية أخرى.

لهذا الاتجاه ثلاث مدارس، تعتقد الأولى (وهي المدرسة البريطانية) أنّ أصل الثقافة الإنسانية أو مركزها واحد، انتشرت منه السمات الأساسية واحتكّت بعد ذلك ببعضها بعضاً، ففي كلّ مرحلة من مراحل الإنسانية مركز واحد للثقافة (الهلال الخصيب في العصر الحجري، مصر في العهود القديمة، والغرب في العصر الحديث)، أمّا الفريق الثاني (المدرسة الألمانية والنمساوية) فيرى أنّ المراكز الثقافية الأولى

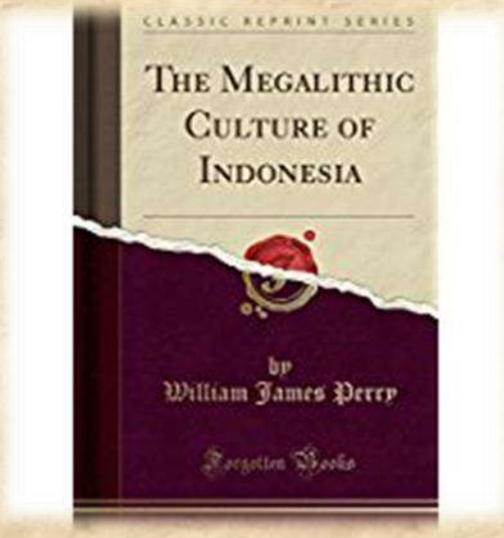
متعدّدة انتشرت منها السمات الثقافية للجهات الأخرى واحتكّت ببعضها بعضاً، في حين ترى المدرسة الثالثة (الأمريكية) أنّ السمات الثقافية الأساسية كانت في جهة واحدة ثمّ انتقلت إلى المناطق الأخرى لشكّلت مراكز جديدة لها القدرة على إنتاج سمات جديدة ومتعدّدة.

1- المدرسة الأولى "أحادية المنشأ": أبرز ممثلي هذه المدرسة مؤسّسها البريطاني



وعالم التشريح إليوت سميث Grafton Elliot Smith (1871 - 1937) معتمداً على الآثار القديمة والهياكل البشرية. يرى هذا المفكر أنّ الثقافة الإنسانية نشأت بين ضفاف نهر النيل قبل حوالي 5000 سنة قبل الميلاد ثمّ انتشرت بعد ذلك إلى المناطق الأخرى من العالم فأصل الثقافات كلّها يعود إلى الثقافة المصرية القديمة وبتوفّر الظروف وزيادة الاتصالات انتقلت إلى شتّى البقاع الأخرى بداية من عالم البحر

الأبيض المتوسط ثمّ الشرق الأوسط فأفريقيا والهند وأندونيسيا ثمّ عالم المحيط الهادي والأمريكيتين وذلك في كتابه "هجرة الحضارات" عام 1915 بمقارنة مختلف المتشابهات الإثنوجرافية خارج مصر.



وفي المدرسة نفسه أيضاً نجد وليم بيري William James Perry (1888 - 1949) في كتابه "أطفال الشمس"، الذي يرى هو الآخر أنّ الحضارة المصرية هي مركز انتشار الحضارات، وأنّ لهذه الحضارة عناصر مسيطرة وأخرى أقلّ أهمّية، فالاعتقاد في ألوهية الملوك باعتبارهم أبناء الشمس يقع في صلب هذه الحضارة ثمّ تأتي العناصر الأخرى، وقد تتبّع توزيع عناصر مثل التحنيط، بناء الأهرام، قيمة المعادن الروحية... وغيرها في مختلف المناطق الأخرى في العالم (أسامة النور، 2002).

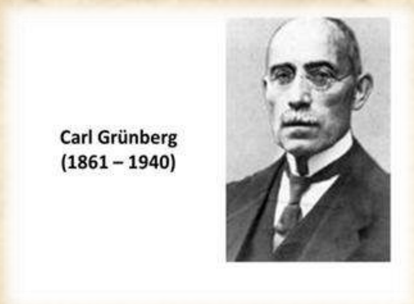


وضمن نفس الاتجاه نجد أيضاً الأنثروبولوجي البريطاني وليم هالس ريفرز Williams Halse Rivers (1864 – 1922).

2- المدرسة الثانية "تعدّدية المنشأ": تعتقد في وجود مراكز متعدّدة لنشأة السمات الثقافية في العالم، وبينها سمات مشتركة، من هذه المراكز انطلقت الثقافات وانتشرت في العالم، وكلّما اقتربنا من إحدى هذه المراكز زادت كثافة وحدّة هذه السمات وبروزها أكثر. من زعماء هذ ا الاتجاه الألماني فريدريك راتزل Friedrich Ratzel صاحب كتاب "الجغرافية السياسية" (1897) معتمداً على المنهج الجغرافي التاريخي في تحليل الثقافة التي تنمو وتتطوّر في



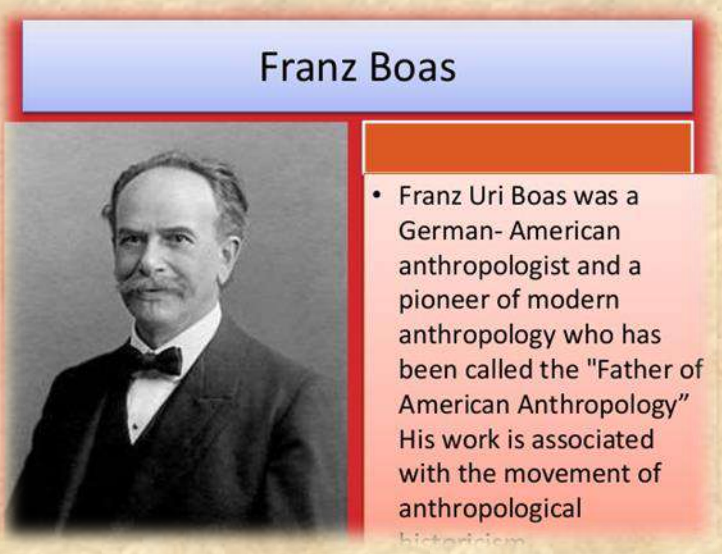
اعتقاده من خلال الاتصالات والتبادلات الثقافية، ففي تحليله للزراعة مثلا يرى أن أصولها تعود أمّا للفأس أو المحراث لذا تعدّدت أشكال الثقافة الزراعية في العالم، وهو صاحب فكرة "الحدود البيولوجية" (تنتهي عملية الاستعمار حيث تنتهي مصالح تلك الدول) والحدود الشفافة (توجد دولة داخل حدود دولة أخرى لخدمة مصالحها دون استعمار مباشر). ومن الرواد الأساسيين لهذا الاتجاه أيضاً: كارل غرونبر Carl Gruenber (1861 - 1940) من مدرسة فرانكفورت (التي



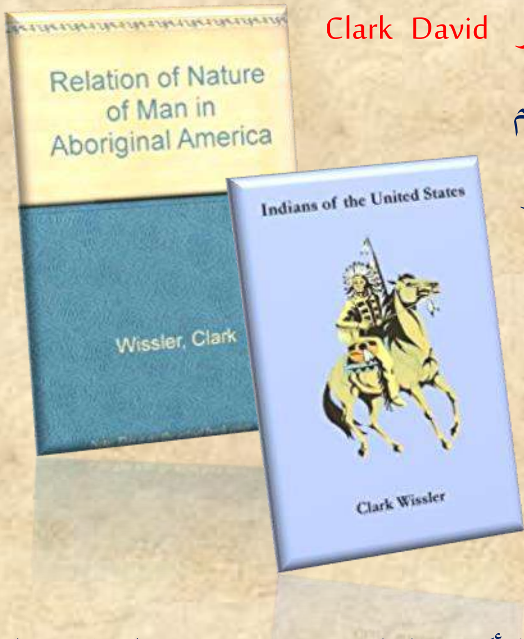
حاولت الج مع بين الاتجاه الماركسي والفرويدي)، وليو فكتور فروبينيوس Leo Viktor Frobenius (1873 - 1938) الذي جاء بفكرة انتشار الثقافات عبر المحيطات بخاصة بين قارتي آسيا وإفريقيا، وأدخل مفهوم "الدائرة الثقافية" لمجال الأنثروبولوجيا والتي تمّ تطويرها بشكل أوسع فيما بعد.



3- **المدرسة الثالثة "الجمع بين المدرستين":** أغلب مفكّريها من تلاميذ فرانز أوري بواس Franz Uri Boas (1858 - 1942) The Editors of Paul Mercier, Encyclopædia Britannica, www.britannica.com/ science/ cultural-anthropology/ Status-of-contemporary-cultural-anthropology.)، والذين وقفوا ضدّ الإثنو مركزية الأوروبية، ففي نظرهم نشأت الثقافة من مركز جغرافي ثقافي واحد لكنّها شكّلت مراكز متعدّدة وموازية لها، لها القدرة على إنتاج أشكال ثقافية مختلفة تماماً عن أصلها،



بهذا أقرّوا إمكانية ابتكار الثقافات الأخرى لسمات جديدة.



من رواد هذه المدرسة كلارك ويسلر Clark David Wissler (1870 - 1947) والذي طوّر مفهوم "الدائرة الثقافية" إلى "المنطقة الثقافية" أو "المجموعات الثقافية"، فالعالم مشكّل من مجموعات ثقافية تضمّ كلّ مجموعة عدداً من الثقافات المتشابهة فيما بينها، وداخل كلّ منطقة مركز تمثّله ثقافة محورية تجمع أكبر عدد من السمات المشتركة (وسائل الصيد، الحرث.. طرق الأكل، الطهي... ممارسات الزواج نظم التربية...)، ليليه بعد ذلك هامش يضمّ الثقافات التي تعرّضت للتأثير من قبل ثقافات أخرى بشكل متدرّج.



ومن روادها أيضاً: ألفرد لويس كروبر Alfred Louis Kroeber (1876 - 1960) صاحب مفهوم الانتشار الثقافي Cultural diffusion في كتابه " انتشار المثيرات Stimulus Diffusion" (1940)، وكلايد كلاكهون Clyde Kay Mayben Kluckhohn (1905 - 1960) صاحب تصنيفات مفهوم الثقافة هو وزميله كروبر.



المحاضرة العاشرة

الاتجاه البنائي (البنيوي الوظيفي):



تعود جذور هذا الاتجاه إلى أعمال البريطاني هيربرت سبنسر Herbert Spencer (1820 - 1903) و الفرنسي إميل دوركايم Émile Durkheim (1858 -1917) بأوروبا، فالأوّل اعتبر المجتمع أشبه بكائن حيّ تتشارك أجزاؤه في الحفاظ على الوظيفة العامة لهذا الكائن، في حين بيّن الثاني أن لكلّ عناصر المجتمع وظيفة اجتماعية ولو لم تبدو ظاهرة للعيان بما في ذلك النظام الاقتصادي للمجتمع الحديث الذي يعمل على التضامن والضبط الاجتماعيين.



ظهرت البنائية الوظيفية بداية الأربعينيات وبقيت مسيطرة حتّى الستينيات من القرن الماضي، وما تزال إحدى أهمّ التيارات الأنثروبولوجية في أمريكا، وهي تنقسم إلى ثلاث مدارس: الوظيفية المطلقة (Fonctionnalisme absolu)، البنائية الوظيفية (Structuro- fonctionnalisme)، والوظيفية النسبية (Fonctionnalisme de moyenne portée).

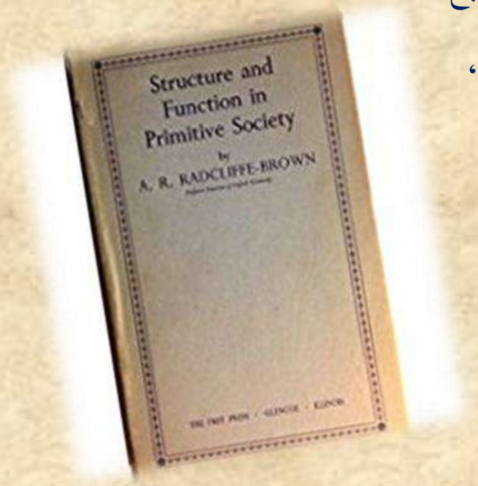
1- الوظيفية المطلقة:



ظهرت الوظيفية من خلال أعمال كلّ من برانسلاو مالينوفسكي Bronisław Kasper Malinowski (1884 – 1942) وراد كليف براون



Alfred Radcliffe-Brown (1881 – 1955)، ورغم اختلافهما في بعض القضايا خا صّة ما يتعلّق بالحاجة، إلّا أنهما درسا الظواهر تبعاً لوظيفتهما. بالنسبة لمالينوفسكي كلّ نشاط يَشغل وظيفةً تُشبع "حاجةً Besoin" محدّدة،

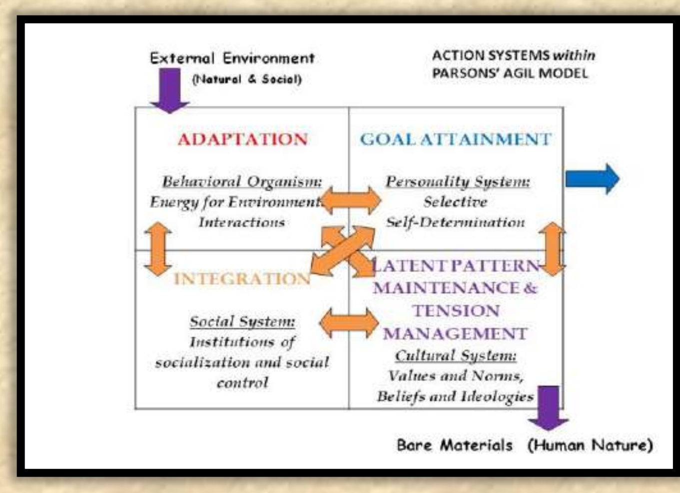


فالحاجة والوظيفة مفهومان غير قابلين للفصل، ولا وجود لعناصر عشوائية، فإن وُجدت فلحاجة محدّدة ولضمان حسن سير الوظيفة العامة. أمّا براون فلا يركّز على "الحاجة"، إنّما على "الظروف الضرورية للوجو د Condition nécessaire d'existence"، ويجب أن يكون مفهوم

الوظيفة في محور التحليل الاجتماعي، بذلك يمكن فهم السير الحسن للوظيفة العامة للنسق الاجتماعي.

2- البنائية الوظيفية: يعود الفضل للوسسيولوجي الأمريكي تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902- 1979) في تأسيس البنائية الوظيفية، قاصداً بناء نظريّة مجرّدة وشاملة للمجتمع. يرى أنّ كلّ الأفعال الإنسانية يجب أن تفسّر في ظلّ البنية الاجتماعية والوظيفة التي تقابلها، من هنا تسمية النظرية بـ"البنائية الوظيفية Structuro- fonctionnalisme"، ويهدف تحليله إلى تحديد "الضرورات الوظيفية الأربع "Impératifs fonctionnels لكل بنية والتي تضمن السير الحسن للوظيفة العامة للمجتمع، ممثّلة في: التكيّف، تحقيق الأهداف، الاندماج داخل النسق، والحفاظ على النماذج الكامنة.





3- الوظيفية النسبية أو "ذات النزعة المتوسّطة": من خلال الانتقادات التي وجّهها روبرت ميرتون Robert King Merton (1910- 2003) للتيارين السابقين في الوظيفية أسّس "الوظيفية النسبية"، فهو يرى أنّ الوظيفية المطلقة اختزالية.

والبنائية الوظيفية تجريدية وشمولية. لذا يجب إعادة النظر في المبادئ الثلاثة أو "الثالوث الوظيفي Triptyque fonctionnaliste" الذي يحكم الوظيفيين:



أ- مبدأ الوحدة الوظيفية للمجتمع: والذي يرى أنّ المجتمع وحدةً متجانسة ومنظّمة. في حين يرى ميرتون أنّ في المجتمع الحديث جماعات مختلفة لا تنضوي بالضرورة في نفس القيم، كما نجد قيماً قد تكون وظيفية للبعض، لكنّها غير وظيفية للبعض الآخر.

ب- مبدأ عالمية الوظيفي: وهو المبدأ الذي يرى أنّ لكلّ الأنشطة الاجتماعية وظيفة معينة، في حين يبيّن ميرتون أنّ بعض الأنشطة لا تؤدّي وظيفة محدّدة، والبعض الآخر يؤدّي عدّة وظائف، أو حتّى لها وظيفة مضادة للسير الحسن للوظيفة العامة.

ج- مبدأ الضرورة: والذي يرى أنّ كلّ الأنشطة ضرورية للسير الحسن للوظيفة العامة للمجتمع. إذ يعتقد ميرتون أنّ العنصر الواحد قد يشغل عدّة وظائف، كما يمكن للوظيفة الواحدة أن تُشغل من قبل عدّة عناصر متناوبة والتي سمّاها "بدائل وظيفية Substituts fonctionnels"، أو "المقابلات الوظيفية Equivalents fonctionnels".

فالتركيز على ضرورة التوازن الاجتماعي والسير الحسن للوظيفة العامة، جعل الوظيفيين لا ينتبهون إلى إشكالية الديناميكية الاجتماعية وبخاصة التغيّر الاجتماعي والمعيقات الوظيفية، وانطلاقاً من هذه العناصر يقترح ميرتون وظيفية تبدو أكثر واقعية تقوم على المفاهيم التالية:



1- العناصر "اللاوظيفية A-fonctionnels": ليست لها وظيفة محدّدة داخل النسق.

2- العناصر "المتعدّدة الوظيفة Pluri-fonctionnels": لها وظائف متعدّدة ضمن النسق.

3- المعوّقات الوظيفية "Dysfonctionnels" أو "الضد وظيفية": وهي عناصر لا تساهم في السير الحسن للوظيفة العامة للمجتمع.

4- البدائل الوظيفية Substituts fonctionnels أو "المقابلات الوظيفية Equivalents fonctionnels": وهي التي تشغل وظيفة معيّنة بعناصر عدّة متناوبة فيما بينها.

5- الوظيفة الظاهرة والوظيفة الخفية Manifestes et Latentes: لا يجب الخلط بين الأهداف والدوافع المعلنة من طرف الفرد في فعل اجتماعي ما، والنتائج الظاهرة (التي يمكن مشاهدتها) للفعل والتي تنقسم إلى وظيفية وضد وظيفية.



أخيرا تقوم الوظيفية عموما على المبدأ الأساسي القائل بأنّه لا يمكن فهم الظاهرة إلاّ ضمن الوظيفة العامة للمجتمع، والوظيفة التي تشغلها البنى والعناصر المكوّنة له.

وتتفرّع عن هذا المبدأ مجموعة من المبادئ، التي تبدو أحياناً متناقضة نتيجة للتطوّرات التي شهدتها هذه النظرية في مسار تشكّلها وأهمّ هذه المبادئ:

- لكلّ مجتمع وظيفة عامة يشغلها ويحافظ عليها باستمرار (مبدأ عالمي).

- لكلّ عنصر أو بنية داخل المجتمع وظيفة محدّدة تشارك بها في الوظيفة العامة للمجتمع، ولا وجود لعنصر دون وظيفة.

- أيّ تعديل في البنية الجزئية يؤثّر في تعديل البنى الأخرى والبنية العامة.

- كلّ تعديل لإحدى البنى تتعدّل تبعاً لذلك وظيفتها، ما يُؤثر في وظائف البنى الأخرى والبنية الكلّية.

- تتحدّد وظيفة البنية ضمن النسق العام من خلال موضعها الدقيق، ودرجة شدّتها (أشبه بالحروف من حيث مواضعها وشدّتها).

- المجتمع يعدّل من وظائفه باستمرار وفقاً للحاجات، ولا يعرف حالة الصراع، إنّما انتقال من تكيّف إلى تكيّف آخر.

- المجتمع وحدة متجانسة ومنظّمة، وكلّ عناصره تساهم في السير الحسن للوظيفة العامة.

- الضرورات الوظيفية أساسية لسير أيّ مجتمع مهما كان.

- أحدث ميرتون تغييراً في هذه المبادئ بإنشاء مفاهيم جديدة هي: عناصر لا وظيفية، عناصر ضدّ وظيفية، عناصر متعدّدة الوظيفة، بدائل وظيفية، الوظيفة الظاهرة والوظيفة الخفية (خواجة عبد العزيز، 2012،).



- الببليوغرافيا -



أ- المراجع العربية:

1- أحمد الخشاب، **دراسات انثروبولوجية**، دار المعارف، مصر، 1970.

2- أسامة النور، أبوبكر شلابى، **الأنثروبولوجيا العامة: فروعها واتجاهاتها النظرية وطرق بحثها**، المركز القومي للدراسات والأبحاث، طرابلس، 2002.

3- إسماعيل قباري، **أصول الأنثروبولوجيا العامة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1980.

4- البشير العربي، **انثروبولوجيا التراث: التراث كرأسمال اجتماعي**، المطبعة المغربية، تونس، 2008.

5- بوخريسة بوبكر، **علم الإنسان بين الهوية والسؤال: تحليل ابستمولوجي في المفاهيم**، البراديجمات والنظريات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.

6- توماس هايلاند اريكس، **العرقية والقومية، وجهات نظر أنثروبولوجيا**، عالم المعرفة، أكتوبر، 2012، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012.

7- جيرار لكلارك، **الأنثروبولوجيا والاستعمار**، تر: جورج دكتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1990.

8- حسين عبد الحميد رشوان، **الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، 1993.

9- حسين فهيم، **قصّة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.

10- حمدوش رشيد، مسألة **الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة: امتدادية أم قطيعة، دراسة ميدانية: مدينة الجزائر نموذجا توضيحيا**، دار هومة، 2009.

11- خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، دار نزهة الألباب، غرداية، الجزائر، 2012.

12- زكي محمد اسماعيل، **الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي**، مكتبات عكاظ، السعودية، 1982.

13- سامية حسن الساعاتي، **الثقافة والشخصية: بحث في علم الاجتماع الثقافي**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2002.

14- شاكر سليم، **قاموس الأنثروبولوجيا (عربي – انجليزي)**، جامعة الكويت، 1981.

15- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.تا.ن.

16- عاطف وصفي، **الأنثروبولوجية الثقافية: مع دراسة ميدانية للجالية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.تا.

17- عباس أحمد، **الأنثروبولوجيا الاجتماعية**، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 1983.

18- عبد الله عبد الغاني غانم، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، 2006.

19- علي ليلة، **البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا: المفاهيم والقضايا**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982.

20- عيسى الشمّاس، **مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا): دراسة**، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2004.

21- فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، 2007.

22- فوزية ديّاب، **القيم والعادات الاجتماعية: مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية**، دار النهضة، بيروت، لبنان، 1980.

23- قباري اسماعيل، **أصول الأنثروبولوجية العامة**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1980.

24- محمد الجوهري، **علم الفلكلور: دراسة المعتقدات الشعبية**، دار المعرف، القاهرة، مصر، 1980. (جزءان).

25- محمد الجوهري، عليا شكري، **مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا**، د.نا، القاهرة، مصر، 2007.

26- محمد بن حمودة، **الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف من خلال أبحاث ك.ل.ستراوس**، دار محمد علي الحامي، تونس، 1984.

27- محمد عبده محجوب، **الاتجاه السوسيو انثروبولوجي في دراسة المجتمع**، وكالة المطبوعات، الكويت، د.تا.ن.

28- محمود سلام زناتي، **الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية**، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1969.

29- مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، **وقائع ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجية في الجزائر**، نوفمبر 1999، CRASC، 2002.

30- هيلاري هنسون، **الأنثروبولوجيون الاجتماعيون واللغة**: عرض نقدي لتطوّر العلاقة في بريطانيا، تر. محمود حمدي عبد الغني، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

31- يحي مرسي عيد بدر، **أصول علم الإنسان: الأنثروبولوجيا**، دار الوفاء، الأسكندرية، مصر، 2007 (جزءان).



ب- المراجع الأجنبية:

32- Mouss Marcel, **Sociologie et Anthropologie**, PUF, 8eme ed, 1999.

33- Pierre Philippe Rey, **Les concepts de l'Anthropologie**, 1978.

34- Riviere C, **Introduction à l'Anthropologie**, Hachette, Paris, 2eme ed, 1996

35- Balandier F, **Anthropologie politique**, PUF, Paris,4eme ed, 1984.

36- Lévi strauss CI, **Anthropologie, structurale**, Introduction, Paris, Plon, 1957.

37- Auge M, **Pour une Anthropologie, des mondes contemporains**, Aubier, Paris, 1994.

38- **Wiktionnaire**, sous: ccBy-SA 3.0 licence.

39- Paul Mercier, **The Editors of Encyclopædia Britannica**, https://www.britannica.com /science /cultural-anthropology/ Status-of-contemporary-cultural-anthropology.

